كلمات منثورة

يكتبها : الأستاذ البشير الحرب

قال صديق لي جئت أعزّيه عن أمّه : « هل تُصدّق ! ؟ لقد فقدتُ بموت أمي خصين في واحد : أُمًّا وصديقة ، حتى لقد أحار في نسبتها إلى ، ومكانها منّـي ! » .

....*

لعل أعظم اللذة وأبهجها ما آمتزج بالألم فتآلفا وتآخيا ، فإذا الألمُ فيها حافز للمقتعة ، مُذْكٍ للسرور ، قد بُلغَ به حدّه الأقصى ، لا يكاد يُطاق ! ؟

شيء واحد هما ، حتى كأن هذا من ذاك ، وحدة صميمة ، لا اختلاف فيها ، لا انفصام لها ، انسجاما ووئاما .

....*

الحقيقة لا تُلتَمَسُ بالعقل وحده ، فليس كالعقل خاتل عائق في ملكوت الرّوح لا يتراءى لنا السِّرُ القُدْسُ أبدًا إلا في حالة شوق ووَجْد ، وقد آتّقدَ الكيان كلهُ وأشرق ، وشفّ ورقّ ، والقلب رائد ، والعقل مطيّة ذلول .

....*

ما أكثر ما نُسمّي الخصلة من خصال المرء بما هو براء منها ، وكأن الإسم يسْخرُ من مُسمّاه ، وينفيه ، ويُلغيه إلغاءً !

هناك فضيلة طيبة النكهة ، خفيفة ظريفة ، لطيفة محببة ، فتلك هي الفضيلة الحَيِيّةُ المحتشمة ، المستخفية الخجول ، المحتجبة جهدها ، تتصاغر وتتقاصر ، وكأنها المزيةُ الغُفْلُ تجهل ذاتها ، تواضعا وتجردا ، حتى لتعتذر عن بُروزها إلى النور ، وظهورها للعيان ، مِشقا للسرّ وكَلَفًا بالكتمان ، تبهرك وتُغريك رغم اختفائها ، وتستهويك باستتارها ...

وفضيلة أخرى ذَفِرَةٌ تنقبض منها النفس وتَغْثَى ، فتلك الصَّلِفَةُ العنود ، المتهورة المتنمرة ، تتحفز للسطو عليك في كل حين ، تَهْمّ بمحاصرتك وافتراسك ، أو تُسلِم نفْسَك خضوعا واستكانة .

الكاتب ، بطبعه ، مِزْواج عَقوق في مجال الفن ، طرِف مَلُول ، لا يكاد يستقيم له الأثر ويستوي حُسْنا وإتقانا ، ويُنْشَر بين الناس حتى ينصرف عنه ، ويَزْهَدَ فيه ، ويطمح إلى سواه .

لكأنه فقد وشيكا جِدّتَه ونضارته بعد العَجَب والفتنة ، والمرح والنشوة ، وأضحى شيئا بسيطا مبتذلا ، تقتحمه العينُ وَشْكَ الإزدراء والإستخفاف ، حتى يشعر الأديب إزاءه بالغربة والوحشة .

وهكذا كُتب على الفنّان أن يفقد أبناءه صغارا ، ويَئِدَهم أطفالا ، ويذوقَ الثُكْل أبدا واليُتْمَ بالرغم منه .

....*

عَجَبًا للدّابة الشديدة المِراس يحكمها اللّجام الواحد ، فتُذْعِن وتلين وقد لا تقوى اللُجُم الكثيرة على رياضة النفس وكبْح جماحها !

....*

قد ترقص النفس لا كرقص الجسد ، بل ألطف وأظرف ، وأمرح وأبهج ، ولكنه فن عويص لا يحسنه إلا القليل .

....*

المرأة أقوى على البقاء وأقدر ، لأنها أوْفى حَظّا من الضّحك والبكاء ، فليس كمثلهما مُتَنَفّسٌ ينفي الهمّ والغمّ ، ويُبَدِّدُ الخوف والقلق ، يجدد القوى ويُغْني الكيان .

....*

نَشْوَةٌ تَعْتَريني عند سماع بعض الغناء ، فإذا أنا في منتهى الدهشة والذهول .

نشوة عجيبة من وراء عالمنا هذا ، إنما هي نفحة من نفحات الفردوس الموعود ..مزيج من لذة الحب ، وبهجة الربيع ، وسحر الطفولة .

ومنها ما يشبه روعة العابد تَمَلّكَه الخشوع ، قد خلا إلى روحه ينعم بها ويلْتذ أُنْسا وصفاء .

لحظة نحس فيها يقينا أننا على عتبة الغيب ، نكاد نخلص إليه ، ولكنّ هيهات !

تَبَارَكْتَ وتعاليْتَ يا الله ! يا من تفرّدَ بواسع الرحمة ، ومنتهى العظمة والإحسان .. منحتَ عبادَك المؤمنين الخُلْدَ ، لأن العمْرَ الواحد ، بل الدهرَ ، بل الأبدَ لا يكفي لتَقدّرَك قدْرَك ، ونوفّيَكَ حقَّ عبادتك !

ب / م

اشكاليّة التقدّم بين النظريّة والتطبيق الطهطاوي ـ الكواكبي ـ شميّل ـ أرسلان نموذجا

بقلم : محمّد نبيل فرادي

إن دينامية التحول والانتقال من وضع حضاري ما الى وضع حضاري أفضل منه يشترط على كل المهتمين من المفكرين، وصل الحاضر بالماضي وبالمستقبل، حتى يتوفر لهم فهم عميق لواقعهم، ويكتسبوا بالتالي الآليات الحقيقية الفاعلة التي تيسرّ لهم الوصول الى مآربهم، اذ الانتقال من وضع حضاري متدهور الى وضع حضاري مزدهر، لا يتم بصورة مفاجئة، وانما يفترض لتحقيقه اتخاذ جملة من الخطوات المنهجيّة المتفرعة الى جوانب اجرائية شكلية وأخرى مفهوميّة، ونصل بالتالي الى صياغة نظريات متكاملة يتم تطبيقها في الواقع العملي.. غير أن صياغة نظريّة ما ليس بالأمر الهيّن، خاصة اذا كان القادح الظرفي بكتسي التدخل العملي السريع، مما يوجب تقديم جانب الممارسة على النظر.

ولئن كان تقديم جانب الممارسة جائزا وتبرره بعض الظروف الموضوعيّة فإن بعض المفكرين مثل : رفاعة رافع الطهطاوي ـ عبد الرحمان الكواكبي، شبلي شميّل. وشكيب أرسلان. لم يغلبوا هذا الجانب أثناء معالجتهم الواقع الحضاري المتدهور الذي عاشته البلاد العربيّة بداية من القرن الثامن عشر وخاصة اثر سقوط الامبراطوريّة العثمانية على يد كمال اتاتورك سنة 1923. اذ عمل هؤلاء المفكرون على فهم واقعهم أولا ثم قاموا بخطوات اجرائية وعمليّة لمعالجة ذلك الواقع، وغايتهم واحدة وهي العمل على الخروج بالأمة العربية من واقع التخلف

والتبعيّة والاستعمار الى واقع التطوّر والنمو والازدهار.

ومسألة البحث في مدى تلازم النظري والطبيقي في أعمال هؤلاء المفكرين من دعاة النهضة في البلاد العربية يقتضي مثلا دراسة أسباب انحطاط العالم الاسلامي بداية من القرن الثامن عشر ـ كما فهمها وشخّصها رفاعة رافع الطهطاوي ـ الكواكبي وشميل ـ وشكيب أرسلان، ثم مدى ارتباط الحلول التي قدموها بمفهوم الحداثة والتقدم عند الغرب الناهض والمتقدم : ومدى تلازم النظري والتطبيقي في أعمالهم ومواقفهم.

واكتسى تشخيص اسباب انحطاط البلاد العربيّة والاسلاميّة بداية من القرن الثامن عشر صبغة بالغة التعقيد والغموض، نظرا لصعوبة حصر جوانب التدهور وتشعّب مسالك الفهم الدقيق للعوامل المسبّبة لهذا التقهقر إذ تراوحت تلك الأسباب بين جوانب خارجيّة مباشرة أو غير مباشرة وأخرى داخليّة، ولذلك لم يكن فهم واقع التخلف في البلاد العربيّة والاسلاميّة أمرا هيّنا وقريبا وانما بذل المفكرون العرب جهدا كبيرا في تفسير أسباب الانحطاط وقد تعددت تبريراتهم بتعدد زوايا النظر التي تمثل كل مفكّر من خلالها مظاهر الانحطاط والتقهقر.

فالطهطاوي رأى أن تفشي الأمية في مصر وفي بقية البلدان العربيّة خاصة والاسلاميّة عموما، والتي كانت ترزح تحت السيطرة العثمانية، مثّل أحد أهم الأسباب الكثيرة التي تجاوزت الأميّة والجهل الى الاستغلال والظلم واستبداد الحكام وتفشي الأوبئة والأمراض. وكانت مصر بصورة خاصة خاضعة لحكم العثمانيين وتحت سيطرة المماليك في الواقع. فتعددت بها الأجناس وتباينت، فنخرت هيكلها الفتن والأهواء المتضاربة والمختلفة وتمحور جوهر الانحطاط في فكر الطهطاوي حول مسألتين رئيسيتين شكلتا الهيكل الجامع لكل أسباب التقهقر في تصوّره وهما ـ ضياع المنافع العموميّة بكل مشمولاتها السياسيّة،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاقتصاديّة الاجتماعيّة، العسكريّة.. وانخرامها طبقا للبرنامج التهميشي والاستغلالي الذي سطرته الخلافة العثمانيّة والغرب الاستعماري.

والمسألة الثانية التربيّة الدينيّة التي داخلها كثير من البدع والضلالات والتدهور الأخلاقي الخطير، وفساد العوائد وتراجع القيم والصفات الحميدة. واعتبر الكواكبي أن الانحطاط "داء" غير أنه داء من نوع "خلل طارئ" فاجأ الأمة العربيّة والاسلامية بعد عصور ازدهار ورخاء. وقد أصاب هذا الداء كل أشكال الحياة والسلوك واتصل بمناهج التفكير، وأصل هذا الداء متعدد المصادر ويرجع الكواكبي السبب الرئيسي منه الى الستبداد السياسي الذي أصاب العالم الاسلامي بداية من انقلاب الخلافة الراشدة الى ملك على يد معاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الأمويّة... انتقلت بذلك السلطة السياسيّة من "نيابة اشتراكيّة ديمقراطية" في عهد الخلفاء الراشدين، الى نمط ملوكي استبدادي تواصل من عهد الدولة الأمويّة الى عهد الدولة العثمانيّة. وقد نتج عن الاستبداد السياسي برأي الكواكبي : أن تأصّل الجهل في عامّة الناس وفي عامة أمرائها المترفين... فصاروا يخربون بيوتهم بأيديهم بسبب التناحر والأحقاد وتفشي الضغائن والنزاعات.. وصار المسلمون.. يعيشون بالتغالب والتحايل لا بالتعاون والتبادل.. إضافة الى فقدان كل أشكال الحريّة وخاصة الحريّة الفرديّة والتي يقول عنها الكواكبي : «وهي أن يكون الانسان مختارا في قوله وفعله لا يعترضه مانع ظالم» كل هذه الأسباب حوّلت وجه الأمة الاسلاميّة الى نمط الأمة "الجنديّة" صنعة وأخلاقا.. فبعدت عن الفنون والصنائع والكسب بالوجوه الطبيعيّة..." وهذا طبعا نمط الدولة العثمانيّة التي حكمت العالم العربي الاسلامي وكرّست هذا الواقع باتباعها لنموذج سلطة استبداديّة مركزيّة فرضت نظاما اقتصاديا إيتاويًا Un mode de vie trubutaire - استغلّت به الانسان العربي استغلالا فاحشا، ورأى الكواكبي كذلك أن السلطان عبد الحميد الذي كان يتمتع بسلطة فرديّة مطلقة هو الذي سوّغ لتكريس أسباب الانحلال والانحطاط باتباعه سياسة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مركزيّة مطلقة و"وجود السلطة القانونية منحلة ولو قليلا لغلبة سلطة شخصيّة أو اشخاصيّة عليها..." عدّة الكواكبي "المنشأ الأصلي لكل شقاء".

إن أسباب الانحطاط كما حددها الكواكبي تستند الى رؤية انسانيّة شاملة صدرت عن عين الفاحص المتمعّن في أسباب هذا الانحلال وشملت بذلك كل الدواعي، الاقتصاديّة، الاجتماعيّة، الثقافيّة، السياسيّة...

وعزا شبلي شميل حالة الانحطاط التي تعمّ الشرق الى جملة من الأسباب الحقيقية مثلت صورة الخلل النازل الذي كبّل العالم العربي الاسلامي فصيّر الشرق "فضلة لاعمدة" وألقى به في غياهب التهميش La marginalisation مما جعله يتنحى عن صدارة قيادة "الحضارة الانسانيّة وانحدر في مهاوي الجهل السحيقة والتدهور الشامل. ولعل أوكد أسباب الضعف ومواطن الخلل التي ذكرها شبلي شميّل هي الجهل اذ يقول.. «على أن الشرق اليوم ... متقهقر جداً عن الغرب، لقلة العلم فيه وثقل وطأة الوهم عليه... وهذا الوهم والجهل هو الذي أفرز نشوء الأديان التي رام واضعوها من وراء القيام عليها جني المصالح الشخصيّة وتحقيق المآرب الذاتية "فالأديان بنيت غاياتها على المعقول ووضعها أناس إن لم نسلّم جميعا بأنهم أولياء كرام فلا خلاف بأنهم رجال عظام من ذوي العقول الكبيرة..» ولمّا كان الدين في نظر شميّل من وضع الناس وليس من مصدر إلهي، قد ساهم واضعوه باستغلاله وتطويعه لمزيد ترسيخ واقع الانحلال والتدهور في الشرق.

أما معالجة شكيب أرسلان لمسألة انحطاط المسلمين فتدور حول جملة ما عرض منها في مؤلفاته وخاصة في كتابه "لماذا تأخر المسلمون وتقدّم غيرهم" وهي تدور أساسا حول فقدان روح البذل والعطاء عند المسلمين وجمودهم على القديم، وحالات الجبن والهلع وتعلقهم الشديد بالحياة، وفساد الأخلاق وخذلانهم لبعضهم البعض، وفقدانهم الثقة بأنفسهم فتميّزت مواقفهم تجاه حملات التنصير مثل

2251

بالسلبيّة والتواطئ، كما أن الجهل والأميّة مثلاً أعظم الآفات وأكبر الرزايا، يقول شكيب أرسلان : «إن أعظم أسباب تأخر المسلمين، الجهل الذي جعل فيهم من لا يميّز بين الخمر والخل...» وبعد أن شخص سائر المفكرين ممن اقتصرنا على ذكرهم وغيرهم كثيرون اسابا انحطاط المسلمين وتدهور أحوالهم، أبدى الكثير منهم رأيه بجملة من الحلول فاقترحوا بدائل مختلفة، نزعت في غالبها الى تجاوز واقع التأخر والجهل وذلك بنبذ الجمود والارتماء في أحضان المستقبل سعيا لتغيير الأحوال وتحقيق النهضة؟

لكن لنا أن نتساءل هنا هل كان انبجاس فكر النهضة في العالم الاسلامي معزولا عن ظهور التيار التنويري في أروبا ؟ أم هو نتاج تلاقح حضاري أفرز وعي العرب والمسلمين بواقعهم الحضاري أولا ثم تأثرهم تأثرا مباشرا بهذا التيار لتنويري الأروبي ثانيا؟.

اكتشف الفكر العربي التيار التنويري الأروبي بعد الصراع العثماني الأروبي وحملة نابليون بونابرت على مصر 1718 اذ اصطحب نابليون معه نخبة من العلماء أعدوا بحوثا كثيرة حول مصر وجمعوها في مصنّف كبير سمّوه "وصف النيل".

وقد أفرزت هذه الحملة عدة نتائج أهمّها ما تجلّى على المستوى الفكري والاجتماعي، اذ اصطدم المجتمع المصري بالحياة الأروبيّة المتمدنة وتبلور لدى المصريين الشعور بوعي ذاتهم المصريّة أولا ثم انتماؤهم القومي الى الأمة العربيّة... وقد عمل المصريون فيما بعد على تطوير حياتهم وتحسين أحوالهم، واقتدوا بالغرب نموذجا لبلوغ مراتب التطوّر والرقي والتمدن.

وقد أحدث انفتاح الفكر العربي على الفكر التنويري ما عبّر عنه برهان غليون في قولته هذه .. أصبح التقدم هو هدف المجتمع الانساني عامة والمجتمع العربي فأصبحت التقدميّة دين النخبة الحديثة المتعلمة، لا يخلوا كتاب من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ذكرها أو الإشارة إليها وأصبح التقدم مطلبا عاما، تقوم من أجله الثورات وتبرر به الحكومات اجراءاتها السياسيّة والاقتصاديّة، وصار مصدر مشروعيّة الكلام والعمل معا لا ينتظم عقل بدونه ولا ممارسة خارج دائرة وهدف تحقيقه..." ولو سلمنا برأي برهان غليون حول محوريّة مفهوم التقدم الذي صار يمثل غاية البشريّة عموما والانسان العربي بصفة خاصة. وجب علينا أن نقف في البداية حول مفهوم التقدم كيف استعمله الغرب وكيف فهمه العرب. قال كانط متحدثا عن التنوير : «ما الأنوار؟ إنها خروج الانسان من حال كونه قاصرا وتعني هذه الحالة أنه عاجز عن استعمال ذهنه دون الاستعانة بالآخرين وهو المسؤول عنها، لأن سببها ليس في الذهن، بل نقص في أخذ القرار ونقص في الشجاعة، علما أن يسلك الانسان دون استعانة بالآخرين، فكن شجاعا واستعمل ذهنك هذا هو رصيد التنوير... وهذا التعريف يحيل الى ما قالته الباحثة خالدة سعيد في مقال لها عنوانه... الملامح الفكريّة للحداثة... : من أن الحداثة الأروبيّة تجلت منذ بداياتها في الصراع مع المؤسسات الدينيّة وقوانين الكنيسة والتقاليد الاجتماعيّة والمفهومات الموروثة ثم في مرحلة متأخرة مع التقاليد الأدبيّة لصالح مبادئ الحريّة والفرديّة والإبتكار والعفوية.. ونستنتج من هذه المعطيات أن الحداثة كما عبّر عنها : Jean baudrillard في الموسوعة الكونيّة :

"La modernité s'inpose comme homogéne, irradiant mondialement a partir de l'occident."

وترجم هذا القول الأستاذ أحمد الحذيري : .. تفرض الحداثة نفسها وكأنّها وحدة متجانسة مشعّة عالميًا انطلاقا من الغرب.. فملامح الحداثة كما تجلت من خلال التعريفات المذكورة تتجلى لنا في مفاصل ثلاثة أولها خروج الانسان من حال العجز والمفعوليّة الى حال الفعل بتأكيد ارادته واستقلاليته الفرديّة. والثاني هو معياريّة الممارسة الاجتماعيّة القائمة على قاعدة صراع الفرد مع كل أشكال

الشرعيات الدينية والساسيّة المتعالية ـ والثالث هو الاشعاع العالمي لفكر الحداثة. بحيث تصبح الحداثة مشروعا غربيًا قابلا للتصدير غير أن مزيّة هذا المشروع تكمن في تحويل مسار العقل البشري ليتجه الى وعي الذات في اللحظة الراهنة وقطع كل الوشائج التي تصل ماضي الانسان بحاضره.

وهذا ما يحتاجه الفكر العربي ـ الاسلامي لتجاوز محنته غير أننا لا ننفي وجود أرضيّة مساعدة يسرّت تقبل مفهوم التقدم / التحديث الأروبي وهي جذور المادة المعجميّة الواردة في قواميس اللغة العربيّة فقد جاء في لسان العرب ـ للسان الدين بن منظور : "القدم المضيّ الى الأمام، وهو يمشي القدم ـ والقدميّة إذا تقدم في الشرف، ولم يتأخر عن غيره في الافضال غير أننا نجد كذلك في مادة (قـ ـ د ـ م) أيضا" القدم : وهو نقيض الحدوث ـ والحدوث نقيض القدمة. والحدوث كون الشيء لم يكن وأحدثه الله فحدث، وحدث أمر أي وقع..." وهذه الازدواجية بين القديم / الحديث تأثر كثيرا في الفكر العربي ـ الاسلامي الحديث، ذلك أن وجود المادة (قـ ـ د ـ م) و(حـ ـ د ـ ث) لم ينف منذ البداية امكانية حضور التصوّر المفهومي للمصطلحين من بنية المعجم العربي، كما أن المصطلحات الأخرى عبّر بها في الحضارة العربيّة الاسلاميّة عن جوانب مختلفة تقارب في استعمالها مفهومي (التقدم / الحداثة) مثل : اجتهاد ـ استحسان ـ تمدن استصلاح ـ ترقي ـ يقظة ـ انبعاث... يقول الأستاذ أحمد الحذيري متحدثا عن التقدم والحداثة يكون : "الحداثة كما يبرز من هذه الاستشهادات القصيرة نتيجة لتغيّر الأزمنة.. ولكنها تفترض صراعا مع النظام القائم، لأنها رغبة في تغيير النظام.." والرغبة في التغيير هي التي فتحت الباب أمام بعض الكتاب والمفكرين العرب، لكي يلجوا عصر التنوير من بابه الواسع.

وكان هاجس الاصلاح، الاقتصادي، الاجتماعي، العسكري.. وخاصة الفكري هو الذي هيمن على المفكرين العرب، بل ان التغيير عندهم شمل الأدب والمعارف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكل ما يخضع للعقل ويعالج بالفكر.

فالطهطاوي اختصر جملة الحلول التي يقترحها في ضرورة المزج بين النموذج الغربي والنموذج الاسلامي، وسيطر على تفكيره هاجس الاصلاح السياسي القائم على مبادئ وأسس المدنيّة الأروبيّة الحديثة فضبط ركنين يحصل بهما وهما :

1 ـ تهذيب الأخلاق بالآداب الدينيّة والفضائل الانسانيّة

2 ـ تعميم المنافع العموميّة التي تعود بالثورة والغنى وتحسين الحال والواضح من كتابات الطهطاوي ومؤلفاته أن مقتضيات الاصلاح عنده تجري في مسلكين اثنين لا يمكن الفصل بينهما الأول نظري وهو ما يقصد به التمدن المعنوي وهو العناية بالجوانب التربويّة، الأخلاقيّة، والدينيّة والثاني عملي يخص الجوانب الاقتصاديّة ـ السياسيّة ـ الاجتمأعيّة... وذلك في المستوى التطبيقي التقني.

وقد عبّر الطهطاوي في الفصل الخامس من الباب الرابع من كتابه "المرشد الأمين.." عن برنامجه التطبيقي ـ النظري بقوله .. تمدن الوطن عبارة عن تحصيل ما يلزم لأهل العمران من الأدوات اللازمة لتحسين أحوالهم حسا ومعنى وهو في تحسين الأخلاق والعوائد، كمالات التربية، وحملهم على الميل الى الصفات الحميدة، واستجماع الكمالات المدنية والترقي في الرفاهيّة.." ويقرب من موقف الطهطاوي كثيرا موقف عبد الرحمان الكواكبي : "اذ عمل الكواكبي على اقتباس النموذج الغربي ليسوّغ مشروعيّة تسريب أفكاره الاصلاحية. وفهم البعض مثل د. محمد جابر الأنصاري في كتابه "تحوّلات الفكر والسياسة في الشرق العربي" إن احتكاك العرب بالغرب قد حدا ببعض المفكرين لانتهاج طريق توثيقي فكان أن ألبست بعض المصطلحات السلفية لباسا حديثا، فالديموقراطيّة تتوافق مع الشورى، والزكاة مع الضرائب إلخ... وبذلك يختلف هذا النمط من التفكير "عن النمط السلفي.." والدكتور محمّد جابر الأنصاري صنّف الكواكب ضمن هذا الاطار التوفيقي الى جانب بعض المفكرين الآخرين من أمثال : جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمّد عبده..."

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مقـــاربة

التراث بـين الوظـيفة التعويضـية والوظيـفة التحرريـة

السندباد وشيخ البحر نموذجا



الاستاذ: عبد الكريم الوسلاتي
سلطنـــة عمان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أدت التحـولات الحديثة بنبضها السريع الى صيـاغـة مفهـوم جديـد للحيـاة والكون والتـاريخ والانسان لتضـع وجها لـوجه نمطين ونمـوذجين متصـادمين: نمط الحضـارة الغـربيـة ونمط الحضـارة الشرقيـة العـربيـة الاسلاميـة، وفي هذا الخضمّ طُرح سؤال النهضـة منذ أواخر القـرن التاسـع عشر: كيف السبيل الى الخروج بالأمة من تخلّفهـا؟ هل يتبنى نموذج الحداثة الغـربية؟ أم بـالانكفاء على التراث وحـده تستمد منـه حلول الماضي لمشـاغل الحاضر والمستقبل معـرضين عن نمـوذج الآخـر على أنـه شر كلـه، وأن عين الحقيقـة المطلقة لا يمكن البحث عنهـا خـارج مدونـة التراث وإضفاء طـابع القداسة عليه سواء كان تنزيلا إلهياً أو إبداعياً بشرياً في لحظة تاريخية معينة يلزمنا ترديده وتطبيقه كحلول جاهزة تخترق الزمان والمكان؟

تنوعت الاجابات عن هـذا السؤال المحير ولم يتغير الوضـع إلا الى مزيد

اتساع الهُوة التـي تفصلنا عن عصرنا، وحسبنـا أن المسألة بُحثت مـن زوايا أحادية لأن سؤال التراث يستدعي بالضرورة اشكالية المعاصرة كما أن سؤال التحديث والمعاصرة في بلداننا لا معنى له بدون مساءلة التراث.

إن الافكار والتعـادلية التي يمكـن أن تؤدي الى مقـاربة سليمة مـع ما يصح تسميته بـ«جدلية التراث» نادرة، فالبعض يـرتهن الى التراث الى درجة أنه يلغـي حضوره وينسخ أسئلة العقـل الحاضر ويتخذ من التراث نوعـاً من الآلية الـدفاعية التي تنفي سلب الحاضر بإيجاب الماضي فيقع في حبـائل هذه المعضلة. والآخر يرفض ما يسميه بـالقداسة الوهمية للتراث بإطلاق وينص على أن الارتكان إليـه هزيمـة تاريخيـة للحاضر والمستقبل وبـالتالي هـزيمة للعقل النقدي الذي لا يقبل بغير الوعي با لمنقول.

في حكايـة من الرحلـة الخامسة من الـرحالت السبع يحكي السنـدباد قصته مع شيخ البحر إذ يعد أن تحطم مـركب السندباد وألقت به الأمواج الى جزيرة جميلة مليئة بباسق الشجر وعـاطر الزهر وطيب الثمر، صـادفه شيخ جالس عنـد ساقيه على عين ماء جاريـة مؤتزراً بإزار من أوراق الشجـر فدنا منه السنـدباد وسلم عليه فحـرك الشيخ رأسه وأشـار بيده «أن احملني على رقبتك وانقلني من هـذا المكان فحملـه السنـدباد عل يكتفيـه وأحاط رجليـه برقبته وانتقل به الى المكان الذي أشار إليه، وقال له: أنزل على مهلك فلم ينزل واحكم رجليه على رقبة السنـدباد وظل يخنقه ويضربه بسـاقيه التين تحولتا الى مثل أرجل وحش في الخشـونـة والسواد وضيّق وثـاقـه على السندبـاد لا يفارق رقبته ليلا نهاراً-ومضى السندباد يحملـه كارها لا يستطيع فكاكا من «شيخ البحر» الشيطاني الـذي خادعه عن نفسه أو خادعت السنـدباد نفسه عنه.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هكذا تبدو علاقتنا بالتراث تشبه عـلاقة السندباد بشيخ البحر في أكثر من جـانب فـالتراث يخادعنا عن أنفسنـا أو نخـادع أنفسنا عنـه، نقبل عليـه بأوهام سرعـان ما تجْعَلُنا عبيدا لـه أو تجعل منه طائراً يقبض بمخـالبه على رقابنا فيعـرقل خَطْونا ويقودنـا الى حيث شاء من أزمانه بـدل أن نقوده نحن الى ما نشاء من أزماننا، وكالسندبـاد في الحكاية نقترب من التراث نمد اليه يد العَـوْن لعل ثوابـه يحصل لنا، فـإذا نحن نلتمس العون منـه والعون عليـه، وكـالسنـدباد أيضـاً لا نلبث أن نستسلم الى قـدرنـا ونحيي حضـور التراث اتباعـاً، ونعاني امتـداده نقلا وتقليـداً، فنفقد القـدرة على أن نُبْدِعَ في حيـاتنا ونفقد الدافع الى أن نضـع الحياة بوحينا وأعيننا.

إننا لن نقدم على شعائر القتل الفرويـدية التي لجأ إليها السندباد حين ألقى بشيخ البحر الشيطان أخيراً من على أكتافـه وأخذ صخرة عظيمة رضخ بها رأسـه وهـو نـائم بعد أن تملّك السّكـر الشيخ الشيطـاني كما لـوْ كـان السندباد يحمل نفسه على ترديد قول أبي تمام:

فنفسَـــك قـــطّ أصْـــلحها * * * ودعـــني من قديـــم أب

إننـا ونحن نـورد قصة السنـدبـاد وشيخ البحـر الشيطاني في إطـار المقاربـة بينها وبين علاقتنـا بالتراث أو قُلْ علاقـة التراث بنا وجثومـه علينا بوجه من الـوجوه صُلحاً أو عُنوة... فإننا يمكن وبشيء من الـوعي والذكاء أن نتعامل مع التراث وامتداداته في الأنا الشعوريـة واللاشعورية بتجاوز العقدة الفرويديـة والحبائل التي وقع فيها السندبـاد، فتُبقي على التراث في حضوره الخاص الذي لا ينسخـه حضورنـا ونؤكـد حضوره في الآن التـاريخي الذي أنتجه فتنسج تعـامُلاً جديـداً عقلانيـاً معه يثبتُ حضورنـا في الآن المعاصر، وعندئذ يمكن أن نفيـد منه دون أن نخسر وجـودنا وحضـورنا في الـزمن آناً

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومستقبلاً.

في إطار هـذه المعالجة للمعادلـة الصعبة نُقـرّ باستمرار طـويل لغياب الـوعي التـاريخي الـلازم القـــادر على تحويل وتـرويض التراث الى وسيلـة للاستئنـاس والادارة فنتجنب ما حصل للسندباد وإن كـان يقع فيه البعض ممّن أداروا ظهـــورهم الى التراث فيما عـــرف في أدبيـات الفكـــر الاجتماعي الحديث بأصحاب التيار التغـريبي الليبرالي، ويكفي قلب الصورة في اتجاهها المعاكـس لنرى فعل الشيخ بـالسندباد أو قُـلْ فعل التراث بأصحاب النـزعة السلفيـة التي تحاول بعث الماضي محنطـاً على صـورتـه تلك لتـدشين عصر الحداثة البعدية!!!

إن شرط التغيير نحو الأفضـــل استناداً الى التراث يستدعـي بالضرورة تحويل مجرد الشعور العاطفي نحـوه الى وعي به وبمكوناتـه وإحيائه وبعثه بعثاً انتقائياً لما فيه من كنوز هي لهب حيٌّ على حدّ تعبيره حنفي وأنه لا جدال في أن أي مقاربـة للتراث لا تتم إلا من داخل المجتمع لا من خارجـه وفي لحظة تـاريخية لها خصـوصيتها في مـراعاة جـانب الحياة الفكـرية والاجتماعيـة والاقتصادية والعقدية التي تتيح انتاجـاً لمعرفة جديدة بالتراث والمنشغلين به وعلاقات انتاج المعرفـة وأدواتها، وكذا من حيث الشروط والآفاق وما ينطوي عليه مثل هـذا الفِعْلُ الخيار من رغبة مُعلنة أو مكبـوتة في إرادة التغيير، وعليه يطـرح سؤال: كيف نقـارب التراث دون أن تقع في حبائلـه؟ وكيف نُفيد منـه ونستفيـد دون أن نقع في أسره؟ وكيف تكون هـذه المقـاربة إسهـامـاً جديـاً وواقعياً في تحقيق فلسفـة النماء للمجتمع الذي يُحيط وننطلق منـه في الوقت نفسه؟

- غالب مـا يقع المنشغل بالتراث في الـوهم فيسحب عليه صفة القـداسة

2259

سواءً ما كان منه مقدساً فعلا كاصول ثابتة أو شروحه وشروح شروحه من الفُهُوم المتلبّسة بضغط الواقع وملابساته المذهبية والسياسية وظروفه الاجتماعية وبناه الفكرية، فيقعون في مقاربة التراث لا مقابلة المواجهة المتكافئة بل مقبالة اللائذ بأصل يحتمي به أمام عجز الحاضر وافتقاد القدرة على مسايرة تيار العصر والعجز عن رؤية إمكان للتقدم حاضراً ومستقبلاً، فيكون الانكفاء الى نوع من الآلية الدفاعية التي تنفي سلب الحاضر بإيجاب الماضي ومثاليته -التي لا غنًى عنها في تقديرنا لضرورة المثال كمُحَفّز للنماء والتطور والقياس- فإذا التراث عند الكثير يقوم بوظيفة تعويضية عمادها مبدأ الوهم وليس مبدأ الواقع وسحر المخايلة وليس وعي المواجهة.

وهكذا يتصاعد دور الوظيفة التعويضية بتصاعد توتّر وعي «الأنا» أمام ما يحدث من تحولات هائلة على المستوى القيمي والمفاهيمي والاحباطات الملازمة لعالمنا العربي الاسلامي خصوصاً في ضوء الاستعمار والتبعية الرأسمالية وما طالعنا من تدشين نظام عالمي جديد بدت ممارساته القهرية تنسحب على الشعوب العالمثالثية كحيوان للترويض والاستنزاف أو الذبح... هذه وغيرها من الاحداث انتزعت «الأنا» من سباتها لتضعها أمام عتبات مراحل جديدة غير متصورة الحدوث، فتلوذ «الأنا» بالمتوهّم من الماضي لتعزيز الشعور بالأمان في مواجهة المتغيرات التي تعصف بها يميناً وشمالاً ويهددها في وجودها وحضورها الذي تعيشه هامشاً على خارطة الحاضر، فاذا ازدوج الخوف من المستقبل بخيبة الحاضر فإن الصورة المتلبسة بالتراث تغدو أشبه بتجليات الأب العاجز الذي يفر اليه طفله المذعور من الحاضر المأزوم والمستقبل المخيف فيستدل هذا الطفل بالتمرد الأوديبي على الأب الامتداد المتكثر منه، أو التبعية المطلقة له ليرى أن التقيد أربح له والمقام على أثر السابقين أولى به وآمن.

وعلى ما يبدو فإن عـلاقة «التبعية» للآخـر علة لتقليد الماضي والعكس صحيح تماماً، فـا لمُتَصوّر التعـويضي للتراث لا ينفصل عن الحضور الموازي للآخر والعلاقات التي تحكم المتخلف بالآخر المتقدم لا تكاد تفارق الآلية التي تحكُم السلف بـالخلف حين تغـدو المعرفـة نقـلا بغير دليل واتباعـاً بتسليم وتقليـداً بإذعـــان فإذا المعـرفـة في مثل هـذه الانســـاق تستحيل الى تبريـد ايـديولـوجي لمنطلق التبعية، وتعبيراً عن آليـات التخلف في مختلف جوانبهـا، فإذا التراث يتحول الى مـلاذ ووظيفة تعويضيـة تنأى بنا عن التقـدم والوعي بـالحاضر والمستقبل، فبـــدل أن تحوّل أبصـــارنـــا الى الأمـــام فإنها تُقلّبهـا وتستديرها الى الخلف. ليتلبّس المقدس بالانساني ويلحق الانساني با لمقدس الى حد يوهم بقداسته فيتحـول التراث الى سلطة مقدسة لا سبيل للخلف غير اتباعهـا، وفي ظل هذا الاختـلاط وغياب التصنيف يتخفّى المقـدس من التراث والمجـالات الحيـويـة فيه. ممـا قـد يكـون قـوة دفع – مثل التراث الطبيعي والعلمي والتقني والقيم الجماليـة والخلقية... ويُختـزل التراث في مستويـات علائقية أحادية البعد إذا مـا سلمنا بلغة أدونيس ومحمد أركون من أن التراث هو الصورة الموازية لاختـزاله في أطروحة الحضارة العربيـة الاسلامية التي تقوم على النص أساساً ورده الى علة أولى تنعكس عليها جميع أطراف المحور أو المعلولات وجـوداً وعدماً فيما يعرف بمـركزية «اللوجـوس» أو فيما يعرف عند محمد عابد الجابري من خلـل في مستوى بنية العقل العربي الذي يستند الى نفس الآليات والمفاهيم في التعـامل مع النص وغيره من النصوص البشرية والواقع دون اعتبار لتغير المعطى المعرفي وأدواتـه وملابساته،،، ولا يخفى ما لهذا المجلى (اللوجوس» من دور في خدمة من يسعى الى خلع جانب أو جوانب مما ليس في التراث لأسبـاب في نفوس أصحابها لتكريس نقلة الـوعي بالتراث من مستوى العقل الى مستـوى النقل والتسليم والجبر ووأد المساءلـة والنقد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتأصيل ارتبـاط التراث بمعنى الـورث والـوارث والملكيـة ليتحـول من حق للـوارث في التصرف فيه الى قيـد في عنقـه وإلى سلطة إلـزاميـة لا تفارقـة كما الشيخ مع السنـدبـاد، فالتراث هـو الإرث التـاريخي بجانبيـه ـــ المقـدس والبشري ـــ يـورثه سلف خلفـه ولا يمكن لنـا تجنب الحالة التي وصفتهـا الآية الكريمة «وتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْـلاً لَـمًّـا» (الفجر 19)، إلا إذا وعينا ببشرية التراث إبداعا وتعاملا وفرقنا بينِ المقـدس الإلهي وما هو نتاج بشري، وجددنا آليات التعامل مع التراث في جانبيه وأدركنا أنه حـالة للإنسان بطبعه وهذا ما يفهم من الآيـة التي تُجسد هـذا (اللَّمَّ) الانسـاني المتبـاين في عناصره زمـاناً ومكاناً، فعلا وصعنة وإبداعاً بعيداً عن المفارقة والتعالي والإسقاط.

"ما من شك في ان رجال الفكر العربي المعاصر يحاولون معالجة مشكلات حياة امتهم وشعوبهم في دراساتهم وممارساتهم. غير ان المشكلة هي في درجة معايشة رجال الفكر هؤلاء لتلك المشاكل حتى تكون معالجتهم ناجحة او ذات قيمة. ما اراه ان الفكر العربي المعاصر بعيد عن المعايشة الكافية لمشكلات الحياة العربية لان حملة هذا الفكر بعيدون عن حياة الشعوب اذا لم يكن بالمثنأ والمنبت فبالتربية والدراسة والتعلم".

عبد السلام العجيلي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الملك أوديب: لتوفيق الحكيم
دراسة وتحليل
(الجزء الثالث)

بقلم : محمد الشارني

II الدّلالات :

(1) الإنسان والسماء :

ـ أ ـ الإرادة الانسانية وعلاقتها بالإرادة الالهية :

يقول توفيق الحكيم : «فأنا أتحرك في عالمين وأقيم تفكيري على عمودين ولا أرى الانسان وحده في هذا الكون!... إني أومن ببشرية الانسان، وأي عظمته في أنّه بشر، بشر له ضعفه ونقصه. وعجزه وأخطاؤه ـ ولكنّه بشر يوحي إليه من أعلى.» (14) على أساس هذا التعادل بين عالم السماء وعالم الأرض أقام توفيق الحكيم ابداعاته، أنّهما يقومان جنبا الى جنب وعظمة الانسان في أن يحقق توازن العالمين، ويشعر أنّه ليس وحده في الكون، فعالم الانسان «الواحد» الذي تنادي بها الفلسفات الانسانية الغربية لم يعد قادرا على أن يكون الحصن الذي يمنع الانسان من فعل السماء. على الأقل هذا ما يؤمن به توفيق الحكيم وقد استقاه كما أكدّ ذلك في مقدمة «الملك أوديب» من الفلسفة الاسلامية.

«أوديب» في الأسطورة الاغريقية يصارع السّماء خاصّة وأنّه ولي العرش المال والزوجة الجميلة ولكنّه يقلقه البحث عن الحقيقة وهنا ينشأ صراعه مع السماء لكنّ الحكيم يخيّر القصّة فيجعل ترسياس يهاجم السّماء بعدما كان أوديب يصارع

ترسياس أي أنّ الصراع لم يصبح كما كان صراع الانسان مع السّماء وانماهو صراع الانسان مع الانسان وهذا الأخير يصارع السماء. (15)

فترسياس في المسرحية أراد باختراعه للقصص أن يؤسس ما سمّاه : «الفعل الحر». لقد أحبّ بهاذ الفعل أن يثبت الإرادة البشرية ينفي الإرادة الالهية ولكنّ إرادة السّماء نفّذت إرادتها أيضا فجعلت "أوديب" يقتل أباه ويتزوّج أمّه ويتولّى عرش طيبة.

يقول أوديب مخاطبا ترسياس : «**لطالما زهوت بإرادتك الحرّة..! نعم كان لك حقًا إرادة حرّة... شهدت آثارها... ولكنها كانت تتحرّك دون أن تعلم أو تشعر داخل إطار من إرادة السماء.** الملك أوديب 152 ».

قيمة هذا الشاهد أنّه لا ينفي الإرادة الحرّة ولكنّه لا يجعلها مطلقة وانّما تتحرّك في إطار الإرادة الالهية وفي القول بحريّة الانسان نفي لفكرة الجبر ونفي لفكرة الصدفة التي تجري في الكون وكان من نتائجها مأساة «أوديب» الاغريق..بينما عند الحكيم ليس في الكون صدفة ولكن هو نظام السماء العادل.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ ب ـ الجبر والاختيار:

يقوم التصوّر الاغريقي لمأساة «أوديب» على موضوع القدر القاسي المحتوم الذي لا اختيار للانسان فيه والا مردّ له لأنّه قدر يجثم على الانسان قبل ميلاده، يتفتضّ براءة المرء. ويقضي عليه أن يقتل أباه ويتزوّج أمه «فلا يستطيع إلاّ ارتكاب هذين المنكرين الفظيعين اللذين كتب له ارتكابهما» فأوديب يصارع قضاء محتوما أعمى، يصارع قضاء تدبّره الالهة في خبث ومكر...

وهذا التصوّر يرفضه الحكيم عقلا وايمانا يقول : «أمّا فيما يتّصل باعتباري مسلما فإنّ عقيدتي الدينية ترفض فكرة الله المدبّر لأذى الانسان تدبيرا سابقا دون مقتضى أو جريرة بل إنّ فكرة التدبير السابق لما سينزل بالانسان من

أحداث لا تجد قبولا عند أهمّ فلاسفة المسلمين...فابن رشد يقول عن الله : «إنّه مريد لكون الشيء في وقت كونه وغير مريد لكونه في غير وقت كونه... فامّا أن يقال إنّه مريد للأمور المحدثة بإرادة قديمة فبدعة!...» فإذا رجعنا إلى فقهاء الدين وجدنا أنّ أبا حنيفة يرفض الانحياز الى الجهمية وأصحاب المذهب الجبري ولا يسلّم كذلك بإرادة الانسان المطلقة ولكنّه يقف في هذه المشكلة العويصة الموقف الذي أردت أنا أن أتبعه فيه عند تناول أوديب. قال أبو حنيفة «اني أقول قولا متوسّطا لاجبر ولا توفيض ولا تسليط،والله تعالى لا يكلّف العباد بما لا يطيقون : «ربّنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنابه ـ قرآن كريم»ولا أراد منهم ما لا يعملون ولا عاقبهم بما لم يعلموا «إنّ للانسان ما سعى وأنّ سعيه سوف يرى ـ قرآن كريم» ولا سألهم عمّا لم يعلموا ولا رضي لهم بالخوض فيما ليس لهم به علم «ولا تقف ما ليس لك به علم ـ قرآن كريم» والله يعلم بما نحن فيه (16) وعلى هذا الاساس يمكن اعتبار توفيق الحكيم في تعادليته اعتزاليا يؤمن بإرادته الحرّة للانسان ولكنّه في نفس الوقت يؤمن بأنّ هذه الإرادة تتحرّك في إطار الإرادة الالهية... «أوديب» حسب توفيق الحكيم ليس حقد الالهة المنطوي على الكيد والشرّ وانّما الموجب للكارثة طبيعة أوديب ذاتها طبيعته المحبّة للبحث في أصول الاشياء الممعنة في الجري خلف الحقيقة قالت جوكاستا «أنت الذي قضيت خير أيّامك تجري خلفها. الملك أوديب 125» على أنّ كارثة «أوديب» عند توفيق الحكيم لها موجب أخر هو عمل ترسياس الأعمى البصير.

ج : منزلة الانسان في الوجود :

يتجلّى موقف الحكيم من المنزلة الانسانية بوضوح كبير في كتابه «التعادلية» يقول : «على أنّ الحقيقة التي أحبّ أن تستقرّ في وضعها الصحيح هي أنّني تعادلي أي أنّ إرادة الانسان في كفّتها تعادلها الإرادة الالهية في كفّه أخرى والعقل البشري في كفّة يعادله الايمان في كفّة... بهذا التعادل يعيش الانسان ويعمل (17)»

وقال في كتابه «فنّ الأدب» . فالإنسان عندي ليس إله هذا العالم وهو ليس حرّا... ولكنّه يعيش ويريد ويكافح داخل إطار الإرادة الإلهية... هذه الإرادة التي تتجلّى للإنسان في صور غير منظورة من عوائق وقيود وعلى الانسان أن يكافح لاجتيازها والتغلّب عليها. (18) «هذا التصوّر جسّمه توفيق الحكيم في «الملك أوديب» عندما جعل بطله فاعلا في إطار الإرادة الآلهية ، لا ينكر السماء حتّى يقرّبها ثانية و كأنما القلب عند الحكيم نافورة الصراع و الآحلام. أوديب عند توفيق الحكيم حركة وجوديّة تنهي إلى الفاجعة لكن بعد جهاد مرير لأن الكفاح هو واجب البشريّة-و لو كان الكفاح ضدّ المستحيل ، أوديب لا تهوله حقيقة الحقائق رغم فظاعتها و بشاعتها فيتحدّى ويعاند، شأنه شأن كل بطل مأساوي،و لاقيمة لحياة لانصارعها بكامل المسؤولية والشجاعة و الإلتزام،«أوديب» رمز الإنسان الذي يسقط أخرا عند نهاية القصّة ، و هكذا تتحدّد منزلة الإنسان في الوجود حسب الحكيم فلا قيمة في النتائج بل القيمة و العبرة كلّ العبرة في ذلك الكفاح و الصراع . أوديب يسقط لكن تبقى صيرورة الصراع الإنساني مستمرّة ، و لن ينتهي الآله و كذلك الإنسان إنّما يتحركان في دائرة الفعل و الإرادة.

2-الصـــراع أشكاله ومجـــالاته:

«أوليس التاريخ هو مشهد صراع بين إرادة و إرادة» "برونتيير"

-أ أشكـــــاله

*** الصراع بين إرادة الاله و إرادة الإنسان: هو الشكل الأوّل من أشكال الصراع في "الملك أوديب" و انّ سعي الحكيم إلى تذهذيبه: «كلّ ما أردت أن أقول هو عندي في «أوديب» لم يكن آلهة عتاة يبطشون ببرىء يتعقبونها لذاته و لكنه صراع بين إرادة الإله و إرادة الإنسان (19)»

فأوديب عند الحكيم تحمل جريرة فعله، و تلك منزلته البشرية المحدودة، أوديب هو رمز الإنسان بقدرته حينا و بضعفه أخرى يحمل في ذاته الأسئلة المبرّرة و

يضن في لحضة أنّه قادر على أن يفكّ الملغزات، فيتعرض «أبو الهول»ويطرح عليه أسئلة الوجود الخالدة: فيعجز عن الرّد: لأن الضعف والعجز جزء من تركيبه و هكذا يكون في سعي أوديب إلى حقيقة حتفه و نهايته. ألم تحذّره جوكستا أكثر من مرة من الحفر عن هذه الحقيقة و لكنّه الإنسان خلق جزوعا.يأبي أن يتوقف طريقه و يأسن ماء فكرة.و ينتهي هذا الشكل الأوّل من الصراع حسب توفيق الحكيم. و إنطلاقا كذلك من المنظومة الإسلامية -بهزيمة الإنسان- لا لأنّ الآله يريد الشر بمخلوقه، و لكن لأنّ تلك النهاية جزاء وفاق على ما اقترفت أيدي الانسان: «و من يعمل مثقال ذرّة خيرا يره و من يعمل مثقال ذرة شرا يره -قرآن»

*** **الصراع بين إرادة الانسان وإرادة الانسان:** ونجدهذاالشكل الثاني من الصراع في مسرحية «الملك أوديب»...بين ارادة ترسياس: التي تؤمن بالفعل الحر و تنكر ارادة السماء يقول ترسياس :«و من **حقي آتيه قليلا يا «أوديب»... فانت لا** تنكر اني قد نجعت و ما انت على هذا العرش **الا اية من ايات ارادتي**

'(77) الملك أوديب »

وبين ارادة"الملك أوديب" التي تتحرك في إطار من أرادة الله وينتهي الصراع بين الإرادتين بانتصار الإرادة اللمتوازنة يقول أوديب:«**أصبتم أيّها الناس !...إنّه لمن الخطأ أن نناقش فيما ألغي على كواهلنا من أقدار..ربّما كان بعضها من صنع أيدينا...أسامع أنت يا توساس »؟...عينك المغلقة لم تستطيع أن تبصر يد الإله في هذا الكون !.... هذا النضام المقرّر للأشياء كالصراط، كل من خرج عليه و لكي ليس لك أن تتحدى أو تنحرف..و قد فعلت يا «ترسياس» فوقعت...ولكنك جرفتنا معك... غير أن السقطة لم تصبك إلا في كبريائك.لقدردّك الآله بها إلى موضعك**... من154 الملك أوديب »

و هكذا يمكن تلخيص أشكال الصراع في "الملك أوديب" في مستويين:

صراع الانسان # الانسان ، صراع الانسان # الارادة الالهية

(اوديب) # (ترسياس) (ترسياس) # (الاله)

-بمجالاتـــــــــــــــــــه:

*** صراع الحقـــيـــقة و الـواقـــع :

«لماذا اخترت «اوديب» بالذات؟ لأمر قد يبدو عجيبا ... ذلك أنّي تأملتها طويلا، فأبصرت فيها شيئا، لم يخطر قطّ على بال «سوفوكل» !...

ابصرت فيها صراع ليس بين الانسان و القدر، كما رأى الإغريق و من جاء بعدهم إلى يومنا هذا ، بل أبصرت عين الصراع الخفي الذي قام في المسرحيّة «أهل الكهف»!هذا الصراع لم يكن بين الإنسان و الزمن، كما إعتاد قارؤوها أن يروا، بل هي حرب أخرى خفية قلّ من إلتفت إليها..... حرب بين الواقع والحقيقة(20)»بهذا يعلّل توفيق الحكيم اختياره لمأسات «أوديب»، كما يحدّد نقله نوعية في مستوى الصراع، تحيلنا على البعد الذهني الذي نجده في مسرحيات الحكيم الذهنية بصفة عامة هذا البعد يتمثل في هذا الصراع القائم بين الانسان و القوى الخفية دون خروج عن الارادة الالهية (هذاالصراع كان في شهرزاد ضدّ قوّة المكان ، هو صراع ضدّ قوة الزمان في أهل الكهف هو صراع مع الحقيقة في مسرحية «الملك أوديب». «أي هو صراع مع قوّة من القوى الخفية التي الانسان الى طلبها و الى النزاع معها بقصد اثبات ذاته في إطار علاقته مع هذه القوى الخفية و في مستوى الايمان بوجوب الصراع معها و لكن ذاك لا يخرج عن إطار القدرة الالهية (21) ».

إن في مسرحية أوديب أكثر من واقع وأكثرمن حقيقة سعى الحكيم إلى تقديمها بطريقة متدرجة :

**نشأ أوديب الحكيم على حبّ والديه «بوليب»و «ميروب»و لم يشك في أنهما والداه ، فكين ذلك واقعه إلى أن عبث لسان شيخ سكير بالقناع فانكشفت له الحقيقة و انهارت ثقته بالأشياء، فاذا لم يكن إبنا شرعيالبوليب ابن من يكون؟

** خرج يبحث عن حقيقة الاصل و النسب فبعثه أصابع ترسياس بطريق

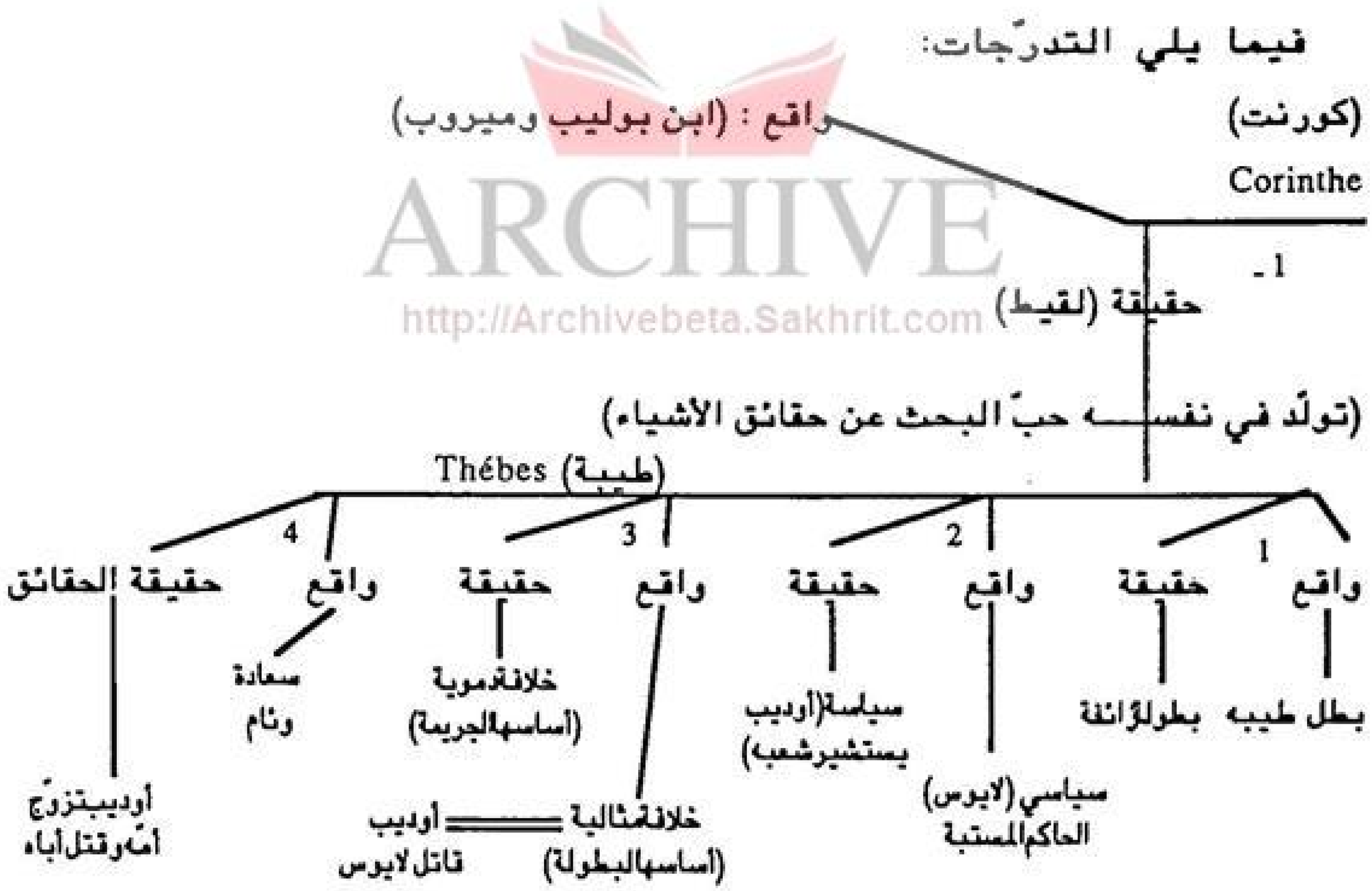
البطل و أدخلته في متاهة الواقع فتوجّه ملكا على طيبة و زوّجه من أرملة «لايوس»فبدأ أوديب نوعا من الحياة تغمره السعادة و كاد يضيع وجه الحقيقة، إلى أن أيقضه دم لايوس على جريمة تعود إلى سبع عشرة عاما،

** و حينها تيقظت فيه من جديدروح البحث فإذا به يتبيّن أن تلك العلاقات زائفة و أنّ الأمر قد استحال إلى زواج بالأم و تلك حقيقة الحقائق فيتصدع البناء النفسي لأوديب و ينطاق كالمجنون يقول :

« لايوس ! جوكستا! يا للسماء! إنقشع الضباب من حولي ... فرأت الحقيقة. ما أبشع وجه الحقيقة !يالها من لعنة !.....لم يسبق أن صبّ نظيرها على بشر....الملك أوديب ص 131».

و هكذا نلخّص مسيرة البحث عن الحقيقةفي مسرحية«الملكأوديب»

فيما يلي التدرّجات:



«الذي يقع إذا يتمثل في أن أوديب يحبّ جوكستا. تزوّج منها و لم يعلم أنّها أمه أنجب منها أبناءو لايعلم أنّهم في نفس الوقت إخوته

«الذي يقع إذا يتمثل في أن أوديب يحبّ جوكستا. تزوّج منها و لم يعلم أنّها أمه أنجب منها أبناء و لا يعلم أنّهم في نفس الوقت إخوته و عندما تثبت و أدرك أنّ الأمر قد استحال إلى علاقة بالأم فإنّه بقي يتشبّث بهذا الواقع الذي كان عليه و يحال به أن يتخطّى الحقيقة و يصارعها فإذا لم تكن جوكستا تقوى على مقاومة هذه الحقيقة فإن فضل أوديب يتمثل في الإيمان بالصّراع بأنّه ليس واقعا فقط و لكنّه يمثّل أيضا الرمز في البحث عن الحقيقة و عندما يصل إلى الحقيقة يعقد صراعا منه و من واقعه تماما كما حدث ذلك بالنسبة إلى مشلينيا في علاقته ببرسيكا...»

يقول الحكيم: «أوديب» و «جوكستا» ليسا، هما أيضا، سوى «مشلينيا» و «برسيكا». لقد تحابّا فأفسدا ما بينهما علمهما بحقيقة أحدهما بالنسبة إلى الآخر...إنّ أقوى خصم للإنسان دائما هو: شبح يطلق عليه اسم «الحقيقة» (22)»

***صـــراع العـــقـــل و القـــلب:

يقول توفيق الحكيم: «فلنؤمن إذا بالقلب وحده..تلك أيضا قوته.(23) »

هذا التعادل بين القوّتين هو القادر حسب الحكيم على أن يكفّل سلامة الشخصية الانسانية.

فهل كان أوديب الحكيم وفيّا لهذا المقياس ؟

نلاحظ في مستوى الملوف المسرحي أن شخصية أوديب تتراوح بين العقل و القلب و ذلك بحسب موقع الشخصية من الحدث.فحين تتحالف على البطل قوى التآمر متمثلة في (الكاهن و كريون)يكون العقل حصنه الحصين يقول مخاطبا رمزي التواطئو: «**نعم بمثل هذا الكلام. أيها الكاهن، تريد أن تلقي في روعي أنّي بعيد عن سمائكم...و أنّي موضع لعنتها...ولماذا أنا ملعون من الإله؟ ألأنّي لا أتقبل ما تنسبونه إليه، الاّ بعد بحث يرضي عقلي؟** الملك أوديب ص 97»

فيكون بذلك القعل أساس التحدي و الصمود و لو كان ذلك على حساب السماء

و على حساب الحقيقة و بالعقل كذلك رفض أوديب-بعد أن إكتشف أنّه قاتل لايوس- أن يربط بين اللعنة روالوباء الذي نزل بشعب«طيبة» لآنه يرفض أن يكرّر الآسطورة الإغريقيّة و يخضع لسلطان الخرافة ،

و لكن اوديب لا ينتمي إلى (العقل المحض) و لا يريد كذلك أن ينتمي الى (القلب المحض)انّما حرص أن يكون وفيًا لتعادليّة الحكيم ، يجمع تنائية العقل والقلب على حد السواء دون أن يمزج بينهما في فهم الآمور. فهل إستطاع أوديب أن يحافض على توازنه بعد أن إكتشف حقيقة الحقائق ؟

لما إنتهى ««أوديب»»لى زيف علاقته بآسرته تمسّك بالواقع لآن الآسماء والصفات حسب رآيه لا تستطيع أن تغيّر ما رسخ في القلوب من محبّة و هكذا يلغي البطل طرفا هاما من تعادلية الحكيم، و يتحدّى في هول كبير عناد الحقيقة و سلطان العقل و ضربات القدر الموجعة. يريد الآن أن يعيش لجوكستا وبجوكستا ولوكلّفه ذلك التناول عن عرشه و نزع الآقنعة ، لكن الحكيم لا يريد أن يخون آبطاله تعادليّته فتكون الفجيعة البشعة ««كانت لحظة جنون طارئة ، عصفت برآسه من غير شكّ ، فلم يشعر فيهابنفسه وهو يضرب عينيه ويصيح بالملكة:««لن أبكيك إلاّ بدموع من دم!... (24).

3 -البطولةوحدودها:

««إنّ البطل الذي يستحق الذكر والتمجيد هو الذي ينتصر على قوى قاهرة بفضل شجاعته و قوّته الشخصية و بهذا يتميّز و يصبح نموذجا و مثلا بين آبناء وطنه ...و هذا البطل كثيرا ما تضفي عليه الذاكرة الشعبية والآسطورة الكثير من الخوارق والآوصاف (25) »»

و على هذا لاساس يقوم محورالبطولة في مسرحية ««الملك أوديب»»لتوفيق الحكيم.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أمّا الرؤية فتقوم على خلاف ذلك فأوديب يساوي منطقيا =اوديب +ترسياس

أمّا المنزلة المشتركة فتعني أن أوديب-ترسياس يساوي الضياع: ضياع الملك و ضياع قلب جوكستا. فبطولة أوديب المزعومة تواجه في مستوى الملفوظ المسرحي عدوّين مختلفين: تواجه الاكذوبة (الأسطورة أبي الهول) التي بوّأته مكانة البطل في ذاكرة شعبه : و تواجه نتائج الأكذوبة وهي إمتحان صعب . فالمعادلة تقوم على تناظر: من قتل الوحش يهزم الطاعون. يصيح الشعب في الخارج: ‹‹أوديب!... يامن أنقضت هذه المدينة. من ‹.أبي الهول › أنقضها اليوم من هذا الطاعون!... إنّ الشعب الذي نادى بك بطلا، و أجلسك على عرش هذا الوطن- كي تدرأ عنه المحن-ليطالبك الآن بأن تهبَ لنجدته وأن تنهض لمعونته. الملك أوديب ص 65 ›› فتضع الأقدار بذلك ‹‹أوديب›› أمام قدره قدر شعبه و نلاحض عندئذ أن ‹‹أوديب›› يواجه أوديب الفرد بإعتباره حقيقة ويواجه أوديب المجموعة بإعتباره ملك طيبة و المسؤول عن سلامة أسرته و سلامة شعبه. و يبدو أن بطولة ‹‹أوديب››محدودة بإعتبار خضوع حركته لإرادة الأعمى البصير (ترسياس) و من هنا نشأ تصوّر جديد يعتبر أن البطل الرئيسي في المسرحية ليس‹‹أودب›› بل ‹‹ترسياس››.

‹‹و في مسرحية ‹‹أوديب›› تنتقل المأساة إلى ثنائية أخرى لعلّها الجوهر الفلسفي وراء كل هذه الثنائيات ‹‹الإرادةالإنسانية و الإرادة الالهية›› ‹‹الحرية والقدر››على أنّ مسرحية أوديب لتوفيق الحكيم، و إن تكن هي مأساة لأوديب اليونانية القديمة إلاّ أنّها بحسب فلسفته في هذه المسرحية ، ليست مأساة لأوديب و إنّما هي مأساة‹‹ترسياس›› على المستوى الفطري على الأقل ، فاذا كان جوهر الصراع في المسرحية هو الصراع بين الارادة البشرية والارادة الالهية فهي إذن قصّة الصراع بين ترسياس و القدر و ليست بين أوديب و القدر شأن المسرحية اليونانية القديمة. (26) ››

و لذا كانت بطولة أوديب محدودة: محدودة لأنّه لم يقتل سوى أسد و لأنّه غير

قادر على أن ينتصر على الطاعون و لأنّه كذلك غير قادر على أن يأبق من أصابع ترسياس تعبث به كما تشاء. **فكان بطلا دون بطولة حقيقيّة** .

-4-إشكاليـــــــــــــــة السلطـــــة :

تمثّل إشكالية السلطة في مسرحية ‹‹الملك أوديب محوّرا أساسيا و ذلك بما تنطوي عليه المسرحية من مفاهيم متباينة و قيم مختلفة بحسب تصوّر الشعوب و رغبة رجال الدين و السلطة. ‹‹و الشعب اليوناني من الشعوب التي عرفت الأسطورة التي تحاك حول السلطان و سلطته إذ في الكثير من المرّات يحاط السلطان بهالة غامضة من الرموز لعلاقته بالكهّان و رجال الدين الذين يسيطرون مصيره و مصير شعبه وهو ما حصل في مسرحية الملك أوديب››إذ نجد العرّاف ‹‹ترسياس›› وراء الأحداث الدّامية في المسرحيّة. (27) ››

لذلك عالج الحكيم القضية السياسية من زاويتين:

-أ-من اوية الواقع السياسي :(ماهوكائن).

*إذ يخضع هذا الواقع لقوانين اللعبة السياسية التي يديرها ترسياس في دهاء كبير‹‹وهو الذي أوحى قديما إلى‹‹لايوس›› بقتل ابنه في المهد...موهما إياه...بأنّ السماء هي التي الهمته أن الولد إذ كبر قتل أباه...لأنّ ترسياس هذا الأعمى الخطر، صمّم بإرادة من حديد أن يقضي عن عرش طيبة وريثها الشرعي... و لقد أراد أن يكون العرش لرجل غريب، فتمّ له الأمر الذي أراد....الملك أوديب 80.79

و يشاركه في هذه اللعبة ‹‹كريون›› و‹‹الكاهن››و إن كانت الغايتان مختلفتان:ترسياس يريد أن يمنح العرش لرجل من الشعب لا نسب له ولا حسب، و كريون و الكاهن يريدان أن يعود الملك للعائلة المالكة ، فإنّ الوسائل تكاد تكون متقاربة. وهو الجوّ الطبيعي لما هو عليه المجتمع العربي أنذاك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

-ب-من زاوية الحقيقة السياسية: (ما يجب أن يكون)

فنحن نجد «الملك أوديب»قد تجاوز الواقع السياسي إلى حقيقة سياسية تتعلق بعلاقة الحاكم بالمحكوم..فهذا الحاكم المستبدّ «لايوس» الذي يقضي عليه في عملية مواجهة مسلحة ثمّ يخلفه«أوديب»فيستشير شعبه في كلّ صغيرة و كلّ كبيرة في مستوى تعقّب الحقيقة فإذا بهذا الشعب يعيش قصّة علاقة بين واقع سياسي حكم (لايوس) و حقيقة سياسية (حكم أوديب) : «وهذا الإزدواج بين البعدين هو مقصود من توفيق الحكيم ليصوّر وضعا سياسيا وحضاريا كنّا نعيش في الثلاثنيات و الأربعينيات من قرننا الحالي وهو أزمة الحكم في واقع العرب. و قد أشار الحكيم بكثير من الوعي إلى هذه المسألة عندما جعل بطله أوديب يخرج إلى شعبه و يحتكم إليه ، يقدّم الحجج و البراهين على جميع المستويات و يقبل حكم الشعب فمفهوم الحكم يجسمه توفيق الحكيم من خلال هذه المحاكمة العلنية (28) »

-5-سـلطان الأسـرة:

يقول توفيق الحكيم: «أوديب»عندي لم يستطع التسليم لحظة ، بإن ما حدث اقوى من حبّه "لجوكستا" ... مامن شئ عنده أقوى من حبّه لها فهو قد فعل بنفسه ما فعل من أجلها وحدها. (29) »"أوديب" الحكيم لم يعد يأبه كثيرا بالبحث عن الحقيقة فحقيقة أوديب قد عرفت وهي تغاير تماما صورة الحياة التي يعيشها، و لكنّه يعاند و يتحدّى لايريد أن يرضخ للحقيقة و يضيع قلب إمراة تجمع معادلة وجدانية صعبة : «الأم+الزوجة» يرفض أوديب أن يسقط عند أوّل ضربة:

«أعترف إليك يا جوكستا أنّي تلقيت الضربة و كدت أنوء بها... ولكنّها ما إستطاعت قطّ أن تجعلني أبدّل شعوري نحوك لحظة واحدة !.. فأنت هي جوكستا دائما و مهما أسمع من أنّك لي أمّ أو أخت...فلن يغيّر هذا من الواقع شيئا... وهو أنّك عندي دائما جوكستا ! » الملك أوديب.

"أوديب" يؤمن بسلطان الأسرة: إنّه الشيء الملموس المؤكد ، إنّه هذه الأسرة و هذه الزوجة و ذلك الحبّ و تلك السعادة أما تلك الحقيقة فلا قوّة لها ولا كيان إنّها «شيء لا يوجد إلاّ في أذهاننا...إنّها وهم ! إنّها وهم !إنّها شبح »ولن يتراجع أوديب عن حيز الفعل إلاّ حينما تسقط علامة الأغراء: حين تنتحر جوكستا في لحظة جنون، لم يبقى أمام «أوديب» أو «مرنوش» أو «مشلينيا» الانتحار والسقوط أخيرا من هاوية الواقع إلى حضيض الحقيقة ، فينلاشى بعض الوعي الذي كان يحيا به و له أوديب ويفقأ عينيه مردّدا صوت المأساة: «لن أبكيك إلاّ بدموع من دم ».

-6-البعد التراجيدي:

لقد سعى الحكيم إلى إحداث نقلة مضمونه و شكلية عند كتابته «الملك أوديب»تمثّلت في وعيه بأنّه يخاطب من خلال نصّه عقلية عربية إسلامية ، ترفض أن يصارع الأنسان الإله و تأتي الخرافة التي هي اساس التراجدية الإغريقيّة و كان هذا السعي سبب الجدل الكبير الذي قام حول نجاح أوديب أو عدم نجاحه في كتابة تراجيديا على التراجيديا. فمحمّد مندور مثلا يرى أنّ توفيق الحكيم لم يوكّب أحداث مسرحيته و لم يطوّرها و لم يصل بها إلى قمّة التأزّم و الإنفراج فأفقد بذلك المسرحية طابعها الدارمي و غاب عنها عنصر التشويق حتّى أمست جدلا حول مسألتي الجبر و الإختيار يعود بنا إلى الإختلافات الفقهيّة ، ينكر محمّد المندور على توفيق الحكيم أصراره على أن يبقى أوديب- رغم علمه بالحقيقة- على ذلك الحبّ الأثم .

من الخطإ أن تنزع عن مسرحية أوديب الحكيم البعد التراجيدي فإن كانت الأحداث في المأساة الإغريقية تسعى إلى جعل المشاهد يعيش رحلة التطهير من الإنفعالات بالاتعاظ من النهاية القاسية التي انتهى اليها البطل فإنّ مأساة الحكيم تطلب من القارىء أن يكون عنصرا فاعلا فيخرج الصراع من إطار الابطال إلى إطار ذهنه ذلك أن العمل الذهني حسب نيتّشة كلام، يبحث له عن امتداد داخل أسيجة الممنوعات و المحظورات ، و لكنّ نحرص أن نقول في الاخير إنّ كتابة

تراجيديًا ليست بالأمر الهيّن. فمحاكاة «سيوفوكليس»واخراج «الملك أوديب» من جديد- اخراجه بالعربية- ومعالجة الموضوع القديم بل الخالد دون ذهاب إلى وجوب التزام التقليد الحرفي، أوالترجمة الأمينة أو الاقتباس البسيط هو ذلك المطلب الجريء الذي قصد إليه توفيق الحكيم -على حدّ عبارة- « ليوس دي‌مارينياك»

- على سبيـــــل الخـــــــــاتمة : -

هكذا، نظر إلى مسرحية الملك أوديب لتوفيق الحكيم ، و قد حوّلها الحكيم من جمالية الاسطورة إلى جمالية المرموز الذهني بحث يكون الملك أوديب ملكا مشاعا لجميع قرّاء العربية بمعنى أنّه يقتضي منهم التفكير و يمسى عالما من الاشارات الخفية و الايماءات البعيدة لأنّه قد يكون فَي كلّ قارئ من قراء العربية جزءا يسيرا أم كبيرا من هذا الرمز «أوديب» و قد يقتضي منّا قراءة المسرحية الرثاء أو الغلظة ، لأنّ أوديب قد يقارب الحقيقة ذلك أنّ كلام الذهن مبنيّ على الفائدة في حقيقته و مجازه

يبقى عليّ أخيرا أن أشير إلي أنّ هذا العمل قاءة إن لم تكن مقنّعة فهي قد حاولت ذلك. و في تسطير السبل بعض المراد .

الهـــوامـش

(1) أرسطوطاليس: فنّ الشعر(poétique)ترجمة عبد الرحمان دار الثقافة بيروت 1973ص23 .
(2) نفس المرجع ص 23

(3) (الحكيم) توفيق. مقدمة الملك أوديب-دار النشر مصر للطباعة ص51.

(4) (الكبلوطي) عبد الرحمان. مشكلة القضاء و القدر في الملك أوديب- ص 108/107

(5) نعني بالتوازن : التعادل بين شخصين أو أكثر دون أن يؤدي ذلك حتما إلى الانسجام .

(6) (أمين العالم) محمود: توفيق الحكيم مفكّرا فنّانا دار شهدي(د.ت) ص51

(7) من تصريح لتوفيق الحكيم لمجلّة المقتطف .

(8) (اسماعيل) عز الدين: قضيا الانسان في الأدب المسرحي المعاصر القاهرة 1968 ص86.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(9) من تعريف غروتسكي للمسرح.

(10) مقوله الحضور و الغياب ذكرها غريماس عند حديثه عن النموذج الفاعلي

(11)أرسطوطاليس فنّ الشعر(poétique) ترجمة عبد الرحمان بدوي دار الثقافة بيروت ص18

(12) (الحان) ناصر المصطاع في الأدب الغربي المكتبة العصرية بيروت 1968 ص 193/194

(13) (الحكيم) توفيق:بين الفكر و الفنّ - طبعة الوطن العربي ض58-64.

(14) (الحكيم) توفيق: مقدّمة اللك أوديب-دار مصر للطباعة (د.ت)ص49

(15)(أمين العالم) محمود:توفيق الحكيم مفكّرا فنّانا دار شهدي(د.ت) ص107.

(16) (الحكيم)توفيق: تعقيب عليت المقدمة الفرنسية للملك أوديب(دي مارينياك).

(17) (الحكيم) توفيق: التعادلية- الطبعة الأولى 1986 مؤسسات عبد الكريم ص25

(18) نفس المرجع ص 16

(19) (الحكيم)توفيق: تعقيب على مقدّمة الفرنسي للملك أوديب ص 183

(20) (الحكيم) توفيق: مقدّمة الملك أوديب ص 41-42

(21) (الجزار) المنصق: المدرسة المفتوحة: (برنامج إذاعي)

(22)(الحكيم) توفيق: مقدّمة الملك أوديب ص42-43

(23) (الحكيم) توفيق: التعادلية- الطبعة الأولى تونس 1986 ص20

(24) (الحكيم) توفيقك تعقيب على المقدّمة الفرنسية ص 186.

(25) (ريعور)علي: قطاع البطولة و النرجسية في الذات العربية ص 144.

(26) (أمين العالم) محمود: توفيقالحكيم مفكّرا فنانا دار شهدي (د.ت)ص109.

(27) (غابري) الهادي: إشكالية السلطة- جريدة الشؤون.

(28) (الجزار) المنصف: المدرسة المفتوحة (برنامج إذاعي)

(29) (الحكيم) توفيق : تعقيب على المقدّمة الفرنسية ص187

(×) المصدر : الملك أوديب-توفيق الحكيم دار مصر للطباعة (د.ت).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الصديق الهادي العبدلي : الاتحاف ترحب بكل مساهماتك وترجو ان تخصها بما لم يسبق نشره من أعمالك. قصيدتك "شكرا لكم" نشرت يوم 29 أفريل 1993 بالملحق الثقافي لجريدة الحرية.

الأخـلاق في شعر المتنـبي (1)



اعـداد
الحاج عبد المجيد بن عمر الطاهري

في شعـر أبي الطيب المتنبي فيضٌ مـن الكـلام على الأخـلاق في أعلى مستـوى من السموّ.

ومـا الأخـلاق إلا صفـات حميدة وفضـائل يتحلّى بها الإنسـان الشريف؛ قـال في شأنها النبي صـلى الله عليه وسلم «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

ولا تتم الأخلاق إلا بجملـة من الفضائل كـالصدق –والأمـانة– والوفـاء بالـوعد. والكـرم والعفـو عنـد المقـدرة، وطهـارة القلب؛ ونجـدة الملهـوف، والتعفّف والشجـاعـة والاخـلاص (وتاج الفضـائل عبادة الله تعـالى) ومن العلماء جمهـرة ترى أن العلم بـدون أخلاق نقص كبير ولا ينفع النـاس ويقدمـون الأخلاق على العلم وهذا كما جـاء في قصيدة حافظ ابراهيم «لا علم بلا أخلاق»(1) قوله:

فـالنـــاس: هــذا حظّــه مــالٌ وذا ... علمٌ وذاكَ مكَـــارمُ الأخْـــــلاقِ
والمَالُ إنْ لمْ تـــدّخِـــرْهُ مُحصّنـــاً ... بـــالعِلْـم كـــانَ نِهَايـــةَ الإمْـــلاقِ
والعِلـمُ إنْ لمْ تكْتَنِفـــــــهُ شمَائِلُ ... تُعْليـــهِ كَـــانَ مَطِيّـــةَ الإخْفَـــاقِ
لَا تحْسِبَـنّ العِلْـمَ يَنْفَـعُ وحْـــــدَهُ ... مـــا لَمْ يُتَـــوّجْ رَبُّـــهُ بِخِـــلَاقِ

وأبـو الطيب المتنبي جُمع في شخصـه العلـم والأخـلاق والمال ومن خـلال قـراءة لشعره نجده يمتـاز بخصـال حميدة وشمائل رفيعة عبّر عنها بالقـول وطبّقها بالفعل ومن أهمها الوفاء الذي أظهره للأمير الذي يحبه سيف الدولة خلال صحبته له أو بعد أن فارقه ومنـــها الشهـامة، وعزة النفس والتعفف وكـرهه للمجون واللهو وتحمسه في الـدفاع عن الاسلام والعروبة إلا أنه كبشر له بعض خصال ينكرها الناس عليه ومن المعلوم أن أخطاء العظماء ولوكانت صغيرة تظهر ضخمة كبيرة في حجم الجبال من ذلك أن الناس يؤاخذونه

---

1) هذا الموضوع من كتاب ألفته عن المتنبي وهو في طريقه للطبع إن شاء الله وعنوانه «أقوال المربي في بيت القصيد من شعر المتنبي».

على بخله وشحه الذي كان مضرب الأمثال: قال أبو بكر الخوارزمي كان المتنبي قاعداً تحت قول الشاعر.

وإن أحق الناس باللؤم شاعر يلوم على البخل الرجالَ ويَبْخَلُ

قال أبو بكر: «حضرت عنده يوماً بِحَلَب وقد احضر مالاً من صِلاتِ سيف الدولة فَصُبّ بينَ يديه على حصيرٍ قد افترشه ووُزِنَ وأُعيد في الكيس وإذا بقطعة كأصغر ما يكون من ذلك المال قد تخللت خَلَلَ الحصيرِ فأكبّ عليها بمجامعه ينقرها ويعالج استعادتها منه ويشتغل بذلك عن جلسائه حتى توصّل إلى إظهار بعضها فتمثل ببيت قيس بن الخطيم.

تبدّت لنا كالشمس بين غَمامَةٍ بَدَا حاجِبٌ مِنْها وضَنَّتْ بِحاجِبِ

ثم استخرجها وأمر بإعادتها إلى مكانها من الكيس فقال بعض جلسائه «أما يكفيك ما في هذه الأكياس حتى أدميت إصبعك لأجل هذه القطعة؟»؛ فقال« إنها تحْضِرُ المائدة»(1).

وفي غير هذا أوجد المتنبي لنفسه الأعذار في اتصافه بالبخل.

ومما يعاب عليه أيضا مبالغته في هجائه لكافور ولإسحاق بن ابراهيم ابن كيغلغ ولِضَبّة بن يزيد العيني وفي ذلك الهجاء أتى المتنبي ببعض الكلمات الماسة بشرف المهجوّ والتي تشمئز منها النفوس وأقبح قصيدة في الهجاء تلك التي هجا بها ضبّة ولمّا احتوت عليه من عبارات نابية فإن المتنبي تبرّأ منها ويدعي أنها نُسبت إليه لإلحاق الأذى به وقد كانت السبب في قتله.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويؤاخذه النقاد عن تكبّره وتعاليه على الشعراء والمبالغة في احتقارهم:

أيِ محلُ ارْتَقِي أيّ عَظِيمٍ اتّقِي
كُلُ ما خَلَق اللهُ ومَا لَمْ يَخْلُقِ
محتَقَرٌ في همّتِي كَشَعْرَةٍ في مِفْرَقِي

ولما كان المتنبي يحث على الأخلاق كما سنرى في عرض بعض ابياته الشعرية فهل وجدناه يدافع عن الضعفاء والمسحوقين من العباد في عصر كثرت فيه الحروب والسيطرة على المستضعفين في الأرض؟ هل وجدناه يتكلم على لسان الجائعين فيدعو إلى اغاثتهم؟ وهل دعا إلى السلم ونفّر الناس من الحرب؟ بل العكس من ذلك نجد له قصائد ملحمية حربية.

إنه عظيم النفس وله طموحات كبيرة ويسعى لاعتلاء الحكم فهو شاعر العظمة

---

1) الثعالبي، يتيمة الدهر.

ولذلك يمقت الضعف ويـرفض الذلّ والاستكانـة ومع ذلك فإن محاسنه الأخلاقيـة فاقت بكثير ما آخذه عنه النقاد.

هذا عرض لبعض الابيات المكتنزة بالدعوة إلى الأخلاق الحميدة.

○ ابو الطيب المتنبي يفضل ان يُصـابَ جسده بأي ضرر بدل ان يلحق عِرْضَـهُ ما يدنّسـه او عقله ما يفسده فيقـول من قصيدة طويلة تشتمل على 66 بيتـاً مدح بها سيف الدولة.

يَهُونُ علينَـا انْ تُصَـابَ جُسُـومُنـا وَتَسْلَمَ اعْـــراضٌ لنَـــا وعُقُـــولُ

نعم الجسم إذا أُصيب بمرض او جرح فإنـه يمكن علاجه ويرجو صـاحبه الشفاء على عكس العـرض فهو شفّـاف وحسّـاس وإذا لحقـه ما يـدنّسـه فإنـه لا علاج لـه لأن المعنويات كالزجاج رقة وعرضة(1) للتكسير.

أما العقل فهـو تلك الجوهرة الثمينـة التي أودعها الله تعالى في الانسـان وبها ميّزه عن الحيوانات غير الناطقة ومجّدَها اللهُ في القـرآن الكريم حيث قال: «يُؤْتِي الحكَمَةَ مَنْ يَشَاءُ ومَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ قد أُوتِيَ خَيْراً كَثيرا ومَا يذَكَّرُ إلاَّ أُلوا الألْبَابِ»(2).

وخاطب الله عقل الانسان بالقرآن كلـه وخصص عديد الآيات وعرّف العلماء العقل بأنه «نور روحاني به تدرك النفس ما لا تدركه بالحواس، وقد سُمّي العقل عقلاً لانه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك أي يحبِسُهُ.(3)

والعقل بهذه القيمة العظيمة التي يعنيها المتنبي ويـرمز إليها يفضّل أن يبقى عقله سالماً ويصاب جسمـه بدله بالضرر ولـذلك سنرى الشاعر في أبيـات أخرى يرفض شرب الخمر لانه يخدّره ويغيب عقلـه الذي يريد أن لا يفـارقه أبداً فهو دائم التدبّـر والتفكر وبه أبدع في شعره وخاض مجالات الفلسفة والعلوم الأخرى.

○ ويبرّا ابو الطيب المتنبي من أخيه شقيقه من أبيه وأمه إذا لم يكن فاضلا. فقال:

وَآنَـــفُ مِـــنْ اخـــي لابِي وَامّـــي إذَا لَمْ اجِـــــدْهُ مِنَ الكِـــــرَامِ

البيت يحمل رسالة أخلاقية إلى الناس يـدعوهم فيها الشاعر إلى التحلي بالفضائل ومكارم الاخلاق.

---

1) العِرْضُ: والجمع اعراض وهو موضوع المدح والذمّ من الإنسان ويطلق أيضاً على الشرف والكرامة وعلى النسب الرفيع.
2) الآية 269 من سورة البقرة.
3) وفي مختارالصّحاح عرف العقل بانّه الحجْر والنُّهى، قال تعالى «هل في ذلك قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ» أي ذي عقل والنّهَى: هي العقل لانها تنهي عن القبيح
4) آنف: أي يستنكف ــ ومعنى من الكرام اي الفضلاء مَنْ حَسُنتْ اخلاقهم اما إذا ساءت أخلاق شقيقه فهو لا يتشرّف به.

○وقال متأسفاً على ذهاب الصدق وغياب الوفاء في المجتمع.

غَــاضَ الــوَفــاءُ فما تلْقَــاهُ في عِــدّة وَأعْــوَزَ الصّــدقُ في الأخبَــارِ والقَسَمِ

هذا البيت قاله من قصيد قبيل رحيله من مصر وبه يعطينا صورة عن الجتمع الذي عاشره حيث انقطع الوفاء بالوعد عندهم وصار الخلف عادة هو المعمول بها وكثر الكذب بينهم وغاب الصدق في أقوالهم وأخبارهم وصار كل ما يقولونه من الزيف ويقسمون على صحة ما يقولون ولكنهم هم حانثون في قسمهم. وفي البيت إشارة إلى وعود كافور الكاذبة وعدم الوفاء بها وكان وعده بتوليته على مقاطعة في مصر.

وإذا كان المجتمع تسود علاقة أفراده خصال الكذب والأخبار الزائفة مع ما يعطيه حاكمه من المثل السيء في الخلف بالوعد وفي الكذب فإن ذلك يقوده إلى الانحلال والتفكّك؛ والأمم بأخلاقها، قال المرحوم أحمد شوقي:

وإنّما الأُمَمُ الأخْــــلاقُ مــــا بَقِيتْ فإنْ هُــمُ ذَهَبَتْ اخْــــلاقُهــمُ ذَهَبُــــوا

○ليس الجمال المحمود بحسن الوجه وإنما الجمال بالأفعال الحسنة والأخلاق الفاضلة وهذا ما عبّر عنه المتنبي بقوله:

ومَــا الحُســنُ في وَجْــه الفَتَى شرفــاً لــهُ إذَا لَمْ يكُــنْ في فِعْلــــــــهِ والخَلائِقُ

○ ويحث على التجمل بفضيلتي الاحسان والكرم فهما أحسن مــا في وجه الإنسان الشريف فيقول:

فأَحْسنُ وجِــهٍ في الــورى وَجْــهُ مُحْسِنٍ وأيْمَــنُ كَــفٌ فِيهِــمُ كَــفُّ مُنْعِــمِ

وهو بهذا البيت يخاطب كافورا أنه إذا أحسن بعطائه فوجهه سيكون أحسن الوجوه وكفّه ستكون ذات بركة ويُمْن وستكون أفضل الأكفّ لإنعام صاحبها وإحسانه للناس. وفي الحقيقة فإن المتنبي يخفي في نفسه كرهه لكافور ويحتقره وفي كل مناسبة يلقي فيها قصيداً يمدحه به يدسّ فيها بيتاً ينبزه بها فيكون ظاهرها المدح وباطنها الهجاء كهذا البيت فإنه يعرّض به ولكنه يقول له: لم أجد ما أمدحك به فأنت أسود الوجه ولا يحسن وجهك إلا بالعطاء.

○ ويعلن الشاعر عن رفضه لمالٍ يقدم له بقصد إذلاله وتدنيس عرضه فقال:

غاض: أي انقطع وذهب ونضُب، وغاض الماء أي غار في الأرض. الوفاء: هو البرّ بالوعد ــ وأعوز: بمعنى عزّ وقلّ وُجُوده.

2281

ولاَ أُقِيـمُ على مـــــــالٍ اذلّ بِـــــــهِ ولاَ الَـــذُّ بِمَا عِـــــرْضِي بِـــــهِ دَرَنُ

فهو لا يقبل أخذ المال الـذي يسبب له الذل فهو يشيء إلى شرفـه ويلوّثه؛ ولا يتمتع أبداً بما فيه الوسخ والدرن الذي يدنس العرض.

○ ومن الأخلاق العالية أن لا يمنّ الإنسـان بالعطاء والجود لأن المنّ يبطل الثواب ويلحق الاذى بالمتلقّي للعطاء فيذلّه ويحرجه.. قال:

إذا الجُود لمْ يُـرزَقْ خـلاصـاً منَ الاَذَى فَـلاَ الحمْـدُ مكْسُـوبـاً ولاَ المالُ بَـاقِيَـا

وقد استمد المتنبي معنى هذا البيت من قول الله تعالى «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تبْطِلُوا صَدَقَـاتِكُمْ بِالْمَنّ وَالاَذَى»(1) وقال تعالى: «قَـوْلٌ مَعْرُوفٌ ومَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَـةٍ يَتْبَعُهَا أذًى»(2).

○ سوء الأفعال ينتج عنه سوء الظن بالناس ويصبح الوهم عادة عند ذلك المتوهم ويصدّق الظنون والأوهام، وفي البيت تعريض بكافور الإخشيدي فقال:

إذَا سَـــاءَ فِعْلِ المَرْءِ سَـــاءَتْ ظُنُـــونُـــهُ وصَـــدّقَ مَـــا يعْتَـــادُهُ مِنْ تَـــوهُّمِ

○ وفي تكلّف الأخلاق للرياء والتظاهر قال:

ولِلنَّـــاسِ اخْـــلاقٌ تَـــدُلّ علَى الفتَى أَكَـــانَ سَخَـــاءً مَـــا أَتَى أمْ تَسَـــاخِيَـــا

ونـوجـز شرح البيت بسيـاق هـذال المثل الـذي يحوي نفس المعنى ليس فيـه من الأخلاق كمن كانت الأخلاق متأصلة فيه وسجيّة وعادة وطبيعية.

فمن تظاهر بالجود والكرم وهو ليس سجية فيـه يكون مرائيا ومنافقا ولا يطول الوقت حتى يعرفه الناس على حقيقته طال الزمان أو قصر، كما قال:

ومهمَا تكُن عنـــد أمـــرء من خليقـــة وإنْ خَـــالَها تخْفَى على النَّـــاس تُعْلَمِ

○ المتنبي يكـره النفـاق وينبذ مـن يتصف به ويحذر مـن خطره ويـوصي بأخـذ الحيطة من المنافقين فقال:

وكُـنْ عَلَى حَـــذَرٍ للنَّـــاسِ تسْتُرُهُ ولاَ يَغُـــرُّكَ مِنْهُـمْ ثَغْـــرٌ مُبْتَسِـمِ

---

1) الآية 263 من سورة البقرة.
2) الآية 264 من سورة البقرة.

2282

البيت ينبيء بوجود أزمة أخلاقية في المجتمع العربي المسلم في عهد الشاعر، والأمة إذا انتشر بين أفرادها النفـاق ساء حالها وفقدت الثقة التي هي الأســاس في كل المعاملات: والمنافق كما قال شاعر آخر هو مراوغ وفي لسانه حلاوة وطراوة وفي سلوكه تلاعب:

يُبْـدِي لَـكَ مِنْ طَـرَف اللِّسَــانِ حـلاَوةً ويَـــرُوغُ عَنْكَ كمَا يَـــرُوغُ الثَّعْلَبُ

وقد ذمّ الله تعـالى النفاق وتوعّد من ينـافق بعذاب جهنّم ولعنه وأطـرده من رحمته قـال تعالى: «وَعَـد الله المُنَافِقينَ وَالمُنـافِقاتِ وَالكُفَّـارَ نَارَ جهنّمَ خـالِدِينَ فيهَـا هِيَ حَسْبُهُمْ تَـرَكْنَـا لأطْـرافِ القَنَـا كُلّ شهْـوةٍ ولَعَنَهُمْ اللهُ فَلَيْسَ لَنَـــا إلاّ بِهنّ لِعَـــابُ وَلَهُم عَذَابٌ اليمٌ»(1).

○ وفي العفّة قال:

وتَـــرَى المُرُوءةَ والفُتُـــوّةَ والآبُـــو ةَ في كُـلّ مَلَيحَـــةٍ ضَرّاتِهَا

فالمروءة وهي كمال الـرجـولة والنخـوة، والفتوة: وهي السخـاء والكرم كلهـا خصال حميـدة يتّصف بها المتنبي تجعله يمتنـع عن الانشغال بـالمرأة وتحول بينه وبين الاهتمام بحبها لأن تلك الصفات في نظره هي كالضرة للمرأة.

○وقال في العفّة أيضاً:

إنّي علَى بِمَا في خُمْرِهَـــــا لَعَـفُّ عَمّا في سَرَابيـــــلاتِهَا

الخُمْرُ: جمع خمار وهو مـا تغطّي به المرأة رأستهـا ويطلق على كل مـا تتستّر به المرأة. والسرابيـلات: هي الاقمصـة. وأعـفّ: أي امتنع عن فعل مـا لا يجمل ومـا ليس بحلال.

فهـو رغم تصريحه بأنـه يحبّ المتستّرة بخمارها إلا أنـه يتعفّف من الاتصـال بها وبما تخفيه قمصها.

○ ومن محاسن أخـلاق المتنبي رفضـــه لشرب الخمـر وبعـده عن الانغماس في المجون وقـد عبر عن ذلك في عديـد الأبيات الشعريـة وفي الغالب نجـد بيت القصيد يحمل دعوة إلى الخلاق الحميدة مثلا كقوله:

وغَيْرُ فُـــؤادي للغَـــواني رَمِيّـــةٌ وغَيْرُ بَنَـــانِي للـــزّجَـــاجِ رِكَـــابُ

الآية 68 من سورة التوبة.

(يتبع ص 44)

إشكالية تقويم الأثر الفني

بقلـــم : *الأستاذ عبد الوهاب عبود*

* "ينبغي أن يسمع الانسان كل يوم قليلا من الموسيقى، ويقرأ قصيدة جيدة، ويرى صورة جميلة... ويقول -إذا أمكن- كلمات قليلة، معقولة." قوته"

* "بعض الجواهر تبدو بلون واحد مهما تقلب النظر فيها. وبعضها يبدو بلونين أو أكثر إذا نظر اليها من وجوه شتى."

د. عبـــد الكريم اليـافي

* **تمهيد** :

إن الثقافة الجمالية والفنية، جانب من الثقافة الانسانية يشتمل على المنجزات والوسائل والاساليب التي يمتلك فيها الانسان العالم بمختلف مظاهره واحداثه وأشيائه امتلاكا روحيا - جماليا. إن هذا الامتلاك، تمظهر عبر التاريخ الانساني بصور شتى، وتنوع من مجتمع الى آخرر ومن عصر الى عصر. لقد أدى اختلاف العصور - وهذا شيء حتمي - الى الاقرار بتقصي طبيعة الاثر الفني، وبالخصوص في عصرنا الراهن. فمنذ ان هيمنت البرجوازية في الغرب وسمت العالم بانماطها ومقاييسها، ظهر ميل جسد في حينه، العودة الى "الفردوس المفقود" ذلك "الفردوس" الذي عبرت عنه المرحلة الرمزية في الفن (مرحلة الفن الشرقي القديم) ثم لاحقا المرحلة الكلاسيكية (الفن الاغريقي)، وقد شاطر "ماركس" أستاذه "هيغل" في هذا الصدد، رغم الاختلاف المنهجي الجوهري بينهما.

كما أعلن "روسو" من قبلهما "بان نفوسنا قد تشوهت بقدر ما تقدمت العلوم..." (1) وان كان يطالب بالعودة الى الطبيعة كي يستعيد الانسان علاقته السوية بالعالم ويقيم الانسجام في الحياة الانسانية.

هكذا نلاحظ من خلال هذا التمهيد الوجيز والموجز بان النقد الفني ينصب دائما على الأثر الفني، مما لا شك فيه، ولكن ضمن أي مشروعية معرفية يتم هذا النقد او ذلك؟ وما المعيار الذي نتخذه حتى نتمكن من اصدار حكم جمالي على اثر فني ما ؟ ومتى يكون

التقويم في العلاقة الجمالية موضوعيا؟

لتحديد هذه التساؤلات بمعنى الاجابة عنها لابد من تبويبها ضمن فقرات كالتالي :

1- علاقة الشكل بالمضمون في العلاقة الجمالية :

لا يستطيع المرء ان يقوم شكلا جماليا خالصا أو صفات بنيوية معزولة عن المحتوى "فالقوس المنحني قد يكون جميلا بوصفه علاقة هندسية معمارية ولكنه قبيح اذا كان شكلا لظهر محدب" (2) كما ان الحكم على اي أثر فني يستدعي النموذج وضده، بمعنى آخر ان المتلقي لا يسند حكمه الفني الا اذا تمتع بتربية فنية تخول له اسناد هذا الحكم، فالشيء لا يقاس الا بضده، فزرقة البحر او زرقة السماء مغايرة في جماليتها عن زرقة الوجه. كذلك فان الحمرة جميلة على خد صبية ولكنها ليست كذلك على أنفها. هكذا نلاحظ ان الصفة الجمالية، وهي صفة للشكل، لا يمكن ان تنفصل عن المحتوى الذي تعبر عنه، ان الالوان والعلاقات اللونية قد تكون وحدها وبذاتها مريحة او مزعجة من الناحية البيولوجية الخالصة ولكنها لا تصبح جميلة او قبيحة الا اذا عرفنا دلالتها المضمونية.

ان تناسب الشكل والمضمون (المحتوى) شرط ضروري لتحقيق الجمالية والروعة والجميل في الاثر الفني. ان الجمال الاساسي يتمثل في وحدة الشكل والمحتوى، وقد أجمع معظم الفلاسفة والعلماء على هذه المسألة. ولتحقيق هذا التناسب او الانسجام بين الشكل والمضمون لابد من التنزه عن النفع والغرض، وهو ما كان "كانط" يشير اليه.

وفي هذا السياق نستدعي الفنان - المبدع - بصفته صاحب الانتاج الفني، هذا الاخير، من جهة يعبر عنه (عن الفنان) عن انفعالاته، عن وعيه عن انتمائه الطبقي والسياسي - الايديولوجي، ومن جهة اخرى عبارة عن تحصيل حاصل للتطور الاجتماعي أو للحاضنة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الذي أفرز ذل الفنان - المبدع - ولقد أصاب "نيتشه" في قوله : "إذا أردت الحكم على مستوى شعب ما فاستمع الى موسيقاه" كما ان "ماركس" قد عبر عن التجادل القائم بين الاثر الفني وبين بنية ونمط المجتمع، يقول :"ولكن الصعوبة لا تتمثل في ان نفهم ان الفن الاغريقي والملحمة مرتبطان بأشكال معينة من التطور الاجتماعي بل تتمثل في انهما يحدثان فينا الى حد الان، متعة جمالية، وهما، في بعض الجوانب، قاعدة ونموذج لا نطاله، ولا يمكن للكهل ان يعود طفلا دون ان يكون سخيفا." (3)، ان التصور الماركسي للفن يحيلنا الى التمييز بين الرؤية الفنية في الغرب - المسيحي المعاصر، ولكن هذا التحايز لا يعني التقاطع النهائي بينهما، بل ان التفاصل والتواصل يظل قائما بينهما، كونهما يشتركان في انسانيتهما. ولعل ما قاله الامام الغزالي يؤكد ما أسلفنا ذكره ، "من لا يهزه العود وأوتاره والربيع وأزهاره، فهو فاسد المزاج وليس له علاج". لكن تفرد الاثر الفني من مبدع لاخر ومن عصر لاخر يظل يشغل بال الباحثين ذلك ان العلاقة الجمالية تتميز عن سائر النشاطات الفكرية الاخرى، ففيها يوجد تقاطب محوره : الأنا، اي الذات المبدعة (الفنان)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والموضـوع (الاثر الفني) والذات الاخـرى (الملتـقي او المتـقـبل) (وقـد يكون المتلقي فـردا او افرادا) ويمكن رسم صورة او لوحـة بيانية تميز الفن بصـفته نشاط انساني عن العلم، اي تفريق التصور المعرفي في القن عن العلم :

*في العلـــــم

المختص = ذات باحثة، ذات عارفة

(الباحث) ========> الموضوع (موضوع البحث العلمي قد يكون جمادا او خلاف ذلك)

الذات =======> الموضوع

*فـــي الفـــن



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نلاحظ من الرسم البياني ان العلاقة الفنية شـائكة بالقياس الى العلم بمعنى آخر، في الرؤية العلمـيـة يمكن ادراك الموضـوعـيـة في أحكامنا، بكل يسـر، وبالخصـوص في العلوم الطبيعية ولا سيمـا وان الموضوع جماد، أمـا في الفن فان حكمنا مقسم، او متجاذب بين الموضوعية والذاتية، فكيف تستقيم هذه المسألة وهل من مخرج معرفي لذلك ؟

2- المعايشة الانفعالية في العلاقة الجمالية :

تقتضي علاقة الذات بالموضوع في الحالة الجمالية تجاوب نشاط الذات الروحي والنفسي مع طابع الموضوع الذي يحمل القيمة الجمالية وحين يتحقق هذا التجاوب يتحول الى ضرب خاص من المعايشة الممتعة، إن العلاقة الجمالية انفعالية بطبعها والتقويم -الحكم- الجمالي تعبير عما يحسه الانسان عند ادراكه الجمالي... معنى هذا ان الفنان يبدع أثره الفني غب انفعاله، ومن هنا يكون ابداعه من تجليات وجدانه ودغدغة أفكاره، وبالمقابل يتم التقويم انطلاقا من بنية الاثر الفني، بين هذا وذاك (الفنان-المبدع-والمتقبل) تبرز القيمة الفنية ويصاحبها الحكم

- التقويم- الفني، فهل نستحضر الفنان عند اسناد قيمة جمالية ما ؟ أم نغيبه ونحجبه خلف أثره الفني ونحاكمه بدعوى انه لم يلتزم بواقعه ومجتمعه والمعايير السائدة فيه أم ماذا ؟ مما لاشك فيه ان اي محاولة لجعل (الفنان) * مجرد آلة ناسخة تسحب منه قيمته الانسانية وفرديته الفنية وبالتالي يغيب معنى الابتداع، ويحل النسخ والتكميل... ولعل في مجتمعنا العربي المعاصر، نماذج فنية تدل على تعدد الاشكال بقطع النظر عن المضمون، فلا غرابة ان تعددت الاسماء الفنية وغابت الابداعات الفنية....

في العلاقة الجمالية تكون المعايشة المباشرة وقوة المشاعر والاحاسيس وخصائصها الاخرى هي وحدها الاساس الضروري والكافي للحكم الجمالي. على العكس في المجال السياسي فنحن نعلم كم هو خطر على رجل الساسة اعتماده على معاناته (انفعالاته).

3- التقويم الجمالي بين التقويم الشخصي، والواقع والمثل الاعلى :

يتوغل الاثر الفني في دخيلة الفرد -المتقبل- وينفذ الى صميمه على نحو أعمق وأتم وأكمل من العلاقات المعرفية والعلاقات القيمية الاخرى. إنها معايشة تمثل الضرب الاشد خصوصية (شخصية) وحميمية والاشد اصالة بالنسبة الى الذات، فاذا جادلت شخصا في حكمه الجمالي، انتصب قائلا، هذه الصورة اعجبتني وكفى... وبالمقابل تعجز عن البرهنة حول صدق انفعاله او زيفه. وهذا هو التقويم الشخصي، وهذا الاخير يبرز بشكل خاص في الاحكام التي نصدرها حول مفهوم الجميل، ولقد روي عن شاعر عربي انه هام بامرأة سوداء -زنجية- فعاتبه قومه، فقال اليهم :"هاتوا، عينا غير عيني تراها" ولعلّ المثل الشعبي يؤكد طبيعة التقويم الشخصي "كل قرد في عين بوه غزال" **، صحيح ان العنصر الذاتي، يمتلك شرعيته انطلاقا من شخصية الانسان الفردية والمتميزة، لكن محتوى الحقيقة غير شخصي وغير انفعالي، والذات العارفة هي الذات الاجتماعية "ذات النوع الانساني" (4) وليست الذات الشخصية الفردية في تشخصها العيني وطابعها الفذ الذي لا يستعاد. لذا تولدت وتكونت تاريخيا قدرة الانسان على خلق المثل العليا وهي قدرة ترتكز على الممارسة العملية المنتجة التي يرسم فيها الانسان في ذهنه صورة الهدف الذي يريد تحقيقه او صنعه قبل البدء بالعمل، وقد يتعدد ويتنوع المثل الاعلى، ويختلف باختلاف الاطار الزمكاني، فان كان المثال الاعلى للمرأة الجميلة في اليونان القديمة، هو المرأة القوية في بنيتها الفيزيولوجية والطويلة، فانها لم تكن كذلك في المجتمع البرجوازي في القرن الثامن عشر ميلادي، حيث نظر الى المثل الاعلى (الذي يجب الحكم انطلاقا منه) تجاه النساء، كالتالي هيمن - على التصورات القيمية الاخرى، بحكم علاقة الاقوى بالاضعف او بحكم علاقة المقلد بالاصل كما عبر عن ذلك ابن خلدون، وان كان في موضوع آخر غير هذا الموضوع (الفن).

* الخـــــاتمة :

صفوة القول، نستنتج ان الانسان لا يولد ولديه حكما جماليا اوليا بل يكتسب ذلك في اطار محيطه الاجتماعي، اي ان هذا الحكم الجمالي نشأ وتكون لديه ضمن ظروف وتربية

اجتماعية، كما المثل الاعلى هو عبارة عن السقف الذي يطمح اليه اي مجتمع، ومن ضمن ذلك الافراد، من هنا يكون التقويم معياريا، انه محكوم بين النزعة الفردية -الذايتة والنزعة الموضوعية، ذات البعد الاجتماعي الاتفاقي، والمعبر عنها، بفهوم "العقل الجمعي" بلغة "دوركهايم"، وهذا ما يفسر عدم وجود دستور او سنة جمالية. فكل ما وضع من معايير ومبادئ جمالية في يوم من الايام كان وقتيا وعابرا ولم يصمد امام الزمن. فهل يعني ان الفن يظل محكوم بين المطلق والنسبي...؟

المراجـــع والمصـــادر :

1) د. نايف بلوز -علم الجمال - ص، ج - منشورات جامعة دمشق-سوريا

2) نفس المرجع السابق ص -64-

3) كارل ماركس - مقدمة عامة لنقد الاقتصاد السياسي

* اقصد بالفنان في هذا السياق بالمبدع (وليس الفنان المتعارف عليه بالمعنى السطحي)

** المثل الشعبي وقع توظيفة معرفيا ولا يحمل اي ابعاد أخرى

4) ان معرفتي ان $2 + 2 = 4$ هي معرفة علمية، اجتماعية، شاملة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(يتبع ص 39)

غيرُ المتنبي من الرجال يعْمُرُ قلبه بحب الحسان ويصبح هدفاً للحاظهنّ فتسبيه.

وغيره من الرجال تستهويه الخمرة فتحمل أصابعه كؤوساً مملوءة بها فيشير بها.

أما المتنبي فإنه يتنزّه عن الاشتغال بالغرام والعشق ويصون رؤوس أصابعه من حمل كؤوس الخمر.

وليس له رغبة في تلك الشهوات وقد تركها وزهد فيها لأنه لا يستهويه إلا القتال وحمل الرماح التي يلاعبها بدل ملاعبة النساء فقال:

من نوابغ الفكر العربي

بقلم الاستاذ : المنذر النجار

قد يغيب اسمه بين اسماء مشاهير الادب والفكر والثقافة، وقد يذكر فيدرج ضمن قافلة الالقاب فلا يزيد الا كما يزيد اسم الى قائمة الاسماء والعدد والارقام، لكن المتأمل في فكره والمتمعن في اثره، والسابر لاغوار صفحات مؤلفاته قد يغير المألوف والمعتاد من سبق الحكم والاقرار، ويصطدم بشخصية فذة نادرة ففكر نابغ حصيف، وخلق شهم. وعقل مستنير فيبقى مشدوها امام علم من اعلام الفن والتاريخ والعلوم، ونابغة من نوابغ الفكر العربي. وعبقري من عباقرة الادب النادرة دفعه وحبه الوثاب، وحب التجلي والتبريز الى ان يكون الاديب الفحل. والشاعر المطبوع والعالم المتمكن : انه العالم المتبحر الشيخ "ناصيف اليازجي" ولد في قرية "كفرشيما" من قرى ساحل بيروت في 25 مارس سنة 1800، وتلقى مبادئ القراءة على راهب من بيت شباب يدعى القس متى، ترعرع ناصيف اليازجي في عصر مطبق بالجهل تغيب فيه المدارس والكتب لكن ذلك لم يكن مانعا له من ان يعمد الى بعض الاديار يستعير منها الكتب ليحفظ أبدتها، وينسخ بخطه ما يروق ان ينسخ منها، ولا فرغبته في العلم والادب وجدله على الدراسة والتحصيل يتناول منها حتى ما لم يكن في المتناول وذكاؤه الفطري في استيعاب كل ما يقع تحت بصره وذهنه مع ملكة الحفظ والوعي والتذوق التي حباه الله بها، كل اولئك الارومة التي اطلعت تلك الدوحة الباسقة في روضة المعارف، يتفرع عليها انضر الغصون والافنان. وقد تالق الشيخ "ناصيف" في سماء العلوم والاداب فكان مقصد الطلاب في بيئته يفزعون ويسعون اليه للنهل والاغتراف فتخرج علي يديه طلبة مثقفون في مختلف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المعاهد والمدارس التي علم فيها، وخلف بذلك اجيالا واجيالا من المتعلمين كانوا نواة النهضة المباركة التي ات اكلها في الاجيال التي تلت جيله، وليس ادل على تأثير الرجال في بيئته ووطنه، وفي نفوس طلاب العلوم من ان تكون مؤلفاته منهل الوراد يغترفون منها زلال الادب، ومعين العلوم، وملاذ الفن والثقافة، فما من اديب ولا متأدب في عصره وبعد عصره الا واستقى من ذلك النبع الفياض، ويتحدث عنه معاصروه انه كان واسع الاطلاع، كثير النكات والنوادر، يروي القصة بتاريخها واسماء اصحابها وامكنتهم، ومع سعة علمه ودقة معلوماته، وقدرته على غوص كل بحر وفوق كل لجة لم يعرف للاغترار سبيلا ولا الى الاستعلاء والفخر مدخلا، فكان نموذج الرجل المتواضع المتخلف او قل نموذجا وكفى.

ومن جودة اخلاقه، ولين عريكته، وبريق تواضعه ابتعاده عن الهجاء او ثلب الرجال، وارتفاعه عن كل ما شان ويشين يقول :

يا ناظمين الهجا خلوا قصائدكم * * لم يبين لنا في عرضه اثر

اذا ضربتم بسيف قاطع حجرا * * تثلم السيف اذ لا يشعر الحجر

وما نلمسه من تواضعه ولين عريكته ايضا، تجنبه ما ليس بحق شأن المرء المخلص الامين لربه ولنفسه وفي ذلك قوله :

الناس تنسب لي ما فوق مرتبتي * * من كل علم وفن لستَ ادريه

يا ايها الناس قولوا حين غبت كما * * شئتم فما لثناكم ما يماريه

فان حضرت دعوا عني مبالغة * * فصاحب البيت ادرى بالذي فيه

والبادي، ان الشيخ "ناصيف اليازجي" كان واسع الاطلاع مكنته روحه الوثابة وطموحه الموصول الى التضلع في علم العربية يجمع تفرعاتها من نحو وصرف وبيان وبلاغة وعروض ومنطق، وكذا الالمام ببعض فنون عصره كالطب

والموسيقى فقد جادت قريحته بمؤلفات متنوعة في الغرض، الى جانب ما اثر عنه من مصنفات في علم الفلك اودعه بعض المقامات، اما تعمقه في فن اللغة العربية وتبحره في فن البيان والبديع، وقدرته على صياغة وحبك الاشعار فقد رسمت عبقرية الرجل واضحت تؤكد نبوغه، وتبرز تمكنه من الاحاطة ببحر اللغة والالفاظ وتدرس ما لا يدع مجالا للشك ان "اليازجي" يجوز عدة من النخبة العلمية والشعرية التي تميزت في واحة العالم الواسع وتاريخ الفكر الانساني من بدء البشرية الى منتهاها، وقد يظهر نبوغ الشاعر المطبوع بارزا متجليا فيما نسوقه الى القارئ الكريم من نموذج طريف في بعض علمه وخاصة ما تناوله من فن البديع، اليكم شذرات منه ففي الجناس العاطل اي الكلام غير المنقط يقول في المقامة الرملية :

الحمد للّه الصمد * * حال السرور والكمد

الله لا اله الا * * الله مولاك الاحد

لا ام لله ولا * * والد لا ولا ولد

او كل اول * * اصل الاصول والمدد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هي قصيدة تبلغ ستة وعشرين بيتا، ثم يردف ذلك بالابيات المعجمة اي المنقطة وهو غير الجناس العاطل كقوله :

بشجي ببيت في شجن * * فتن ينتشبن في فتن

شيق تيق تجنب في * * نفق ضيق بقي فغنى

وهي عشرة ابيات، ثم ينتقل الى نوع أخر هو الملمع، وهي التي شطر منها مهمل من النقط وشطر معجم :

اسمر كالرمح عامل * * يغضي فيقضي نخب شيق

مسك لماه عاطر ساطع * * في جنة تشقى شبح ينشق

وفي هذا النوع تسعة ابيات، وينتقل منها الى الابيات الخيفاء وهي كلمة منقوطة واخرى عاطلة :

ظبية ادماء تغني الاملا * * خيبت كل شجي سالا

لا تفي العهد فتشفيني ولا * * تنجز الوعد فتشفي العللا

غضة العود تثنت مرحا * * بضة اللمس تجنت مللا

وهي عشرة ابيات يجري في نظمها هذا المجرى، ثم يتقدم الى الابيات الرقطاء، وهي ما كان النظم فيها بحرف مهمل وحرف معجم وهذا نموذج منها :

ونديم بات عندي * * ليلة منه غليل

خاف من صنع جميل * * قلت في صبر جميل

وهي سبعة ابيات يختمها بقوله :

قاتلي وجه بديع * * زاجري عنه قليل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبعد ان يفرغ من نظم تلك الانواع يعمد الى نظم اربعة ابيات في عاطل العاطل لم يسمع غيرها في اشعار العرب وهي :

حول درحل ورد * * هل له للحر ورد

لحصور حلو وصل * * ورده للصحو طرد

وله صول وطول * * وله صد ورد

دهره حر صدور * * هل له لله حد

فمن النماذج التي عرضناها تلمسنا شيئا عن مقدرة الشيخ اللغوية وتلاعبه بالالفاظ العربية واستخدامها في غاية بيانية، قل ان تتاتي الا لمن ملك ناصية

البيان وانقادت له اللغة انقياد المهر الرضيع الى امه، فبالاضافة الى ما تقدم نرى له في البديع ايضا، ضرب ما لا يستحيل بالانعكاس اودعها المقامة البصرية وعدد الابيات فيها اربعة عشر بيتا قال :

قمر يفرط عمدا مشرق * * رش ماء دمع طرف يرمق

وفي ختامها :

قل طعم دونه ردبكم * * كبد رهن ودمع طلق

وله في المقامة نفسها بيتان طردهما مدح وعكسهما هجاء وهما :

باهي المراحم لابس * * كرما قدير مسند

باب لكل مؤمل * * غنم لعمرك مرفد

وعكسهما :

دنس مريد قامر * * كسب المحارم لايهاب

دفر مكر معلم * * نغل مؤمل كل باب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وما نلحظه اذن، ان ذلك لا يكون بمقدور كل شاعر ان لم يكن قد ضرب في بحر اللغة واسرارها بسهم وافر، ونبع من معينها نبعا وافيا، وقد يرى ايضا ان في عمل الشيخ مضيعة للوقت في شيء لا يرجى من ورائه نفعا ولا يفاد العلم منه بشيء لكن الناظر بعين منصفة ونفس عادلة الى زمن الشيخ ذلك الزمن الذي بعث من دركة الانحطاط اذ لا مدارس ولا علوم ولا جامعات ولا تخصص، قد يلزم الاديب او الشاعر في تلك الفترة ان يلم الماما شافيا بتلك الانواع البديعية مع تحصيل حد اقصى من المعارف والعلوم تتجاوز ما كان متعارفا عليه ومألوفا عامة الى تكريس نموذج من المحسنات اللفظية في النظم وجولات في انواع البديع والبيان حتى لا يرى لمحاولات التطفل والتشويه والعجر منفذا تزج باللغة العربية منه في متاهات الانحدار.

كـــل عـــام وأنتـــم بخيـــر

شعر : محي الدين السارني

كل عام وأنتم بخير
كل عام وأسرة " الإتحاف " بكل خير ،،
كل عام - يا أصدقائي - " والإتحاف " تهدي قرنفل الوقت
لكل العابرين إلى عسل الكلام ولكل الباحثين عن نحمة
يطيرها الحنان لشوق العصافير ،،،
وأعرف ،،،
أعرف أن لغة مدماة ،،،
وأعرف أن الهلال الذي مر منذ قليل ،،، صديقي ،،،
وأعرف ،،،
أنا أعرف أن الإتحاف الفرح الجالس على قمر المواعيد ،،،
،،، ونجمة القلوب الذاهبة إلى شمال الفؤاد ،،،
هذه " الإتحاف " نجمة ،،،
حين أبقى بلد كوكب أهديه فواتحي ،،،
،،، وحين أكون معززا بشفيف الإنتشاء ،،،
،،، وبك القلب ،،،
آه ،،، يا قلب ،،،
كم أريدك أن تأتي ،،،
وكم ،،، !!!
أصدقائي ،،،
هذه " الإتحاف " صديقتي تهديني بهاء ما تصنع وثلج ما يورقه
الليل والبيلسان وكل النوارس المائلة على ضفاف المحيا ،،،
هذه الإتحاف نجمة ،،، وهذا أنا أقول ـــــ :
كل عام وأنتم بخير يا أصدقائي ،،،
،،، وكل عام " والإتحاف " فضة القلب الذي يفرح ،،، ويضيء ،،،

الكاف في 28 ديسمبر 1992!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



مرحبا

شعر : عبد السلام لصياغ

أهلا ومرحبا
يا من أنت حبيبتي ..
مرحبا برائحة الكحل
في عينيك ..
مرحبا بالبسمة
على شفتيك
وبرموشك الجميلة
مرحبا بصباحاتنا
وبمساءاتنا .
مرحبا بمعطفك المعطر
وبشعرك الثائر المبعثر ..
مرحبا بشتاء
يجيء دفءا في القلب ..
مرحبا أيها الحب
سلاما على ذكريات
على عشقنا

على قصائد رائعة
ومواعيد
ولقاءات فريدة
مرحبا بفرح
بين يديك
مرحبا يا عاشقي
وبطيبك منك يفوح
وبأحاديث ساحرة
بين ثنايا الروح ..
مرحبا بصوتك العذب
وبأغانيك ..
مرحبا بك ،
أنا عاشق دائم السفر معك
فدعيني أرتاح لحظة على كفتيك ..
وأنام هادئا
بين نهديك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فتوحات

شعر : صالح الطرابلسي

1- الفتح الاول :

حيطان...

تردي حيطانا، تودي بحيطان،

بين الزجر، ومد،

الرمل

ضاعت الشطآن، ضاعت...

الشطآن!..

يا الرباط المرابط في الاسوار..

من يرابط فيك الان...

من يرابط...

فيك ، أم ضاعت سفائن البحار؟!

2-الفتح الثاني

نيف وحقب من العمر مرت

والروضة راضية بالتبرج

الظاهري!..

والمدينة..

تستنزف لبها وتقتات...

تاريخها مستوردا..!

نيف، وكلام من العمر سال...

أودية....

والفعل، لا زال يغرق في ضباب

الطرق!...

ضيعتنا الطرق...

وريحهم...

خربتنا زمانا، فلم ندرك...

شمسنا في الافق !...

سرقوا شمسنا ذات نوم...

خاضوا مع الزمان...

سباقا....

ففازوا بالسبق !...

3-الفتح الثالث

هل ضيع البحر بصمته ؟!...

هل مل ملاحنا الارتحال ؟...

هو ذا يشرب....

أفيون وخصمه، كي يقتل....

العمر بمدية الوقت!...

"الوقت من ذهب

لن يعود منه ما ذهب"

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

4-الفتح الرابـــع

يا الذي يرابط في الرباط...
المرابط في الاسوار...
يسيجك المكان!...
أرى البحر يمدك للشطآن...
فعرّ عنك
ها الاخر يعرف عنك...
ما أنت تجهله !...
هل تخطيت الزمن الهارب...
منك، بك يقاتلك !...
لعلا تقاتله....
بالفعل الماضي اليها...
هذه التي، لم تأت يوما الى..
بيتنا...
الا وتخنقها الاسوار في الرباط...
المرابط فينا كالابد !؟؟؟

5- الفتح الخامس

لم ساعاتنا خاوية ؟!...
لم ساعة، البغي، تؤشر دوما
لدخولنا في ....
حلبة التاريخ ؟؟....
لم قصيدتنا، لا تزال في وهمها...

ميتة !؟
لم يا عطرها لم تسو على هسيس
الليالي التي توهتنا، كي...
نستقيك خمرا تفجر...
ظمأنا...
تستوى شمسنا على الدنيا !...
لم يا عطرها...
كلما رمت ان تضوع...
استصدروك بغثاء مداخنهم...
كي تجف في المدى نكهة
الحب!؟؟؟

6- الفتح السادس

لا زال هشا، جسدنا هذا !...
فازدادي متيمتي اندلاعا، ورشي...
بالنهار...
أفقنا الاغبر !
تزهر الافراح فينا، وفي...
بيتنا، يفوح الند والعنبر!...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جراحات المقال على أيدي زرقاء اليمامة

شعر: فتحي زهير الحاجي

ربما السحر سيّان، والكفر والمصقلة.
ربما العشق ضد لضِدّ
ربما العشق ليس المقام الأخير...
ثم هذا الجناح بأشواكه والقراطيس تخدشها نسمة
يستحيل الحلول، فيتلو غنائية سالبة
... ربة البحر، قُولي كما لا يُقال الكلام
كما النار برداً، كما يثلجُ الصدر هذ الحِمَامُ
أيّهذا المسافر في بلدي القول غيم
أيّهذا العامر في فجوات الكلام
بَلَى، والمبجّل في حانتي
«زُرْقة» النار والبحر والحبر والعين يلتقيان
وليل يتيّمه النجم، والقمر هكذا
وأوصال صحرائنا والهجير .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبعض السنابل في ربوة مشرقية تناغم لحن الحجاز

وبعض المجاز...

وعزف المياه كما اللحن في الدرب قد يلتقى...

وشيء من الأدب الزئبقي...

وأشياء من ليلنا المُدْلهِمّ

وعطف على العطف حتى النّشاز

وغربان قريتنا لا تكف تطير...

وتنعق، تنعق دون جواز

وأرجوزة الفتح في شفتيك تلوح

كخاتم كسرى بريقا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

***

يا غنائية الصمت، يا بؤرتي البائرة

أيها اليُبس والوأد، والجزر والمدّ

والسيف والحدّ، والهزل والجدّ، والدفء والبرد

والطبل والعود، يا خيمتي

أنت فلك النجاة ويوم الوفاة وفجر الحياة

ولحن الطغاة...

أنت هدي الحبيب، القريب، الملاك، الرقيب...

أنت ترسانة الوالهين...

وزق المتيّم في مجلس الكفر، والعاشقين

أنت طقس الحلول، وباب الدخول، وزهر البقول

ونجم الأفول

غرّدي... عضّري وجهك...

خضّبي وجنتيك، ونوحي...

صرت ألفظك كالخلاص، كما المحمل الآن أنتِ

ردّدي، عدّدي، مهّدي، جدّدي

قرّبي، ابعدي، أبداً لا تكفّي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

لاح نهدُك حمّلني أعطيات

وميلادك لم يعدْ تغلبياً

وأجهشت من قبل أن ألتقيكِ

وأفصحتُ عنك، ومهرُكِ آتِ

وبعض التخوم تفوح بعطرٍ من التُّرْكِ زُفّ إليكِ

لم أعد ألتقي الباعة في الطريق

ولا في البلاط القديم

***

أجهز الصيف عنّي، ووزّعني اللحن فيك

وفكّ عقالي غُلام

وليت التأدم لو خبّروك

أنت فيروزتي لا تشُكّي...

أنت كالزيزفون، كما النرجس، والبياض

يشعُّ عَليّ

كترحال عودي، وسقف وجودي...

وأسطورة الفتح في شَفَتَيّ

أنكِ خلوتي، حجّتي، عُهدتي

ومحتشد العشق في معبديّ

أنت غصن النخيل ونور الفتيل وفِقْه الجليل

ومعنى مثالٍ يقالُ إِلَيّ.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

آنعتـــــاق

شعر : أميرة الرويلي الجبالي

دائمة البحث أنا
عنك ...
دائمة الشوق أنا
إليك ...
دائمة العشق أنا
معك ...
ومنك ...
وإليك
فمتى تجمعنا جزيرة الحب
على شفتيك ؟
ومتى تحملنا ...
حمامات الرب
إلى جنتيك ؟!
ومتى تصنعنا الورود زورقا
جاء .. وآرتمى ...
على شاطئيك
ومتى يزرعنا الوجود صفصافا
آمتدت جذوره ...
في حدائق ذراعيك ؟!
اليوم آكتشفت ...
حبيبي ...
على معصمك المرمر
غابات من أشجار
اللوز..
والجوز ..
والنعناع الأخضر

فمتى يا حبيبي
أنام تفاحة
في بركان يديك ؟ ..
ومتى يا حبيبي
أتفتح لؤلؤة
في ومضات عينيك ؟!
ومتى يا حبيبي
أصبح معبدا
تصلي فيه الوجد
وأصلي فيه السهد
حتى مطلع قمريك ؟
فحنانيك يا حبيبي
رفقا بي ...
وبقلبي
حنانيك



*-25 ديسمبر 1992

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نغني لوصل النصوص

شعر: عبد الفتاح بن حمودة
كلية الآداب منوبة

جرح على جرح ، يسلكني ويمضي
بهيا ، كأن لم يكن نبعي صبيا ،
وفيضي يتقاسمه الوقت ولفظي
يستغل دمي ، يؤسس رفضي
يستظل بشهد البراري الواقفات
ينحل الزمان ، يسير قراري
بين الزوايا الفاجرات يفر فراري ،
للشظايا من علبة المقت الفريـد
للمرايا تكفن جثة عيدي ،
ما بين السبايا من نساء اللغة
وما بين الخفايا قصيدي ،
أستهل نهاري ، يعمدني
اندثاري حقيقا ، كأن لا ـــــد
مني رفيقا ، يصمدني اندحاري
إلى مزالق الصمت ، تحتي لاضد ،
تحتي أهزوجة للموت الخفيض ،
على وجنة كفي انتحاري

◇◇◇< .... >◇◇◇

يعالجني ليل ، غازل شباكه المطر
يخالجني ضوء قبلي ، السطر
هاجس الكون الذي لفـه الفقر،

الكلمات ضحايانا حين نخون ،
أو لا نخون ، موتى نكون ،
نتعتع وجاهة القتل البهيج ،
شرايين الفتنة في الصحيح
فواكه الغيبوبة الشهية ،
بألف صياغة
وارده
مذ زرعنا الله
خارجه
نخاتل البياض ،
منعرج الماء ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نتاكل
ضحكتها
السارده

نوفمبر 1992

رسالة مضمونة القبول

شعر : رحيّم جماعي

الإهداء إلى فؤاد الحمدي.. حذار، أن تفكر في مغادرة قلبي

لأمتطي طفولة هاربة
وأمعن في العناد
أقود مظاهرة صاخبة
أطفالي جنودي والعتاد
أغزو حيّنا عنوة
أشاكس شيوخ القبيلة
أفضح "صلاتهم" والفساد
أطارد قططا سائبة
أرمي قبلاتي لحسان النوافذ
فتلعنني الوجوه الجماد

* * *

لأستجدي مومسا في سبيلي
فتنهرني أنا الـ.. سندباد
فامضي إلى حانة عامرة
فينكرني في أنهزامي الروّاد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

ليطرءني في من ظله الشجر

ومن عيونهم كل العباد

ليعبس وجه البلاد

وتسخر منّي الحبيبة

حين أبني قصورها

وردة وردة

قفصور الحبيبة

ذات العماد

* * *

لتلفح وجهي شمس الهجير

وتهد قواي عواتي الرياح

وتهد خطاي الدروب إليها

فتوصد بابها شهرزاد

* * *

ليحاصرني جفاف الصحاري

وتهاجر شطآنها كل البحار

ويداهمني المساء الرّماد

* * *

لتتشبث بالغروب الشموس

وتنكدر الأغم في سماي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتنتحر آخر شمعة فيّ
ويستبد سبيلي السواد

* * *

لأجثو أمام سورها "القيروان"
فتقول، أبدا.. لست إبني
وتشيح بوَردها عنّى
وصدرها ذاك الوساد
وتشرع بابها للغريب
فألبس في قهري ثوب الحداد
وأمضي إلى بلد قد يراني
وفي كبدي رسمها.. والقتاد

* * *

لتخون العناصر كلها
ويضيق المدى في عيوني
ويبرم الخراب عقد الوداد
ليأتي الموت حثيثا إلي
ويواجهني باعتداد
فيرتد إلى حجره كالهزيمة
حين نكون معا يا حبيبي!
مع يا.. فؤاده!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة قصيرة

ليلة الفزع الأكبر

بقلـــم :*عبد القادر الطويهري*

تزوج عثمان خديجة منذ عشرين عاما وهو يبلغ الان الاربعين انه اسمر اللون، مهدل الشفتين قطط الشعر اشتر الجفن قصير القامة دميم الوجه يسكن كوخا بناه على ضفة وادي تاسة قبل ان يتزوج خديجة وكان يقاسم الوادي هدوءه حين يهدأ وثورته حين يثور. انه الى جانب زوجته ينعم بطيب العيش واذا رنا الى اتانه وهي تقضم الكلأ بجرعاء الوادي غمرته سعادة ليس بعدها سعادة كذلك حين يرنو الى عنزه وهي تفتش العشب او تعير لفتة الى جديها وهو يجثم بعيدا عنها وتدعوه في حدب وعطف فيأتيها مسرعا.

ما أسعد عثمان بهذا النمط من العيش ! وبهؤلاء الجيران الطيبين ! ولكن امرا واحدا كان يكدر عليه صفو الحياة ويملأ نفسه جزعا هو ان شمس كل يوم لا تطلع الا ومعها خبر جديد ولكنه خبر غير سار بل فاجعة تصيب احد الجيران.

يوم الاثنين تسرق بقرة الحاج علي يوم الثلاثاء تفتقد فرس محمود. يوم الاربعاء يختفي ثور مصطفى، يوم الخميس تسرق ثلاث نعاج من قطيع صالح، وهكذا في كل ليلة سطو جديد، حتى دجاجات زينب ارملة الحاج مختار امتدت اليها ايدي اللصوص وهي كل ما تملك في الحياة.

تعرض الحي لغارات اللصوص اكثر من خمس عشرة مرة أما عثمان فقد قدر له ان ينتظر في كل ليلة غارة شرسة لا يعلم الا الله عواقبها وكان قلبه لا ينفك يرتجف ارتجافا.

ولعل الوفاء هو الذي يدفعه الى ان يحدث زوجته عن كل عملية سطو تجد في الحي وربما كان يفعل ذلك كي تقاسمه خوفه وجزعه.

أما خديجة فقد كانت على العكس تماما رابطة الجأش وقد تحاول خديجة : ان اللصوص لا يأبهون بالاتن والماعز انما يشنون غاراتهم على الثيران والخيول والبغال وقلما يسطون على الخرفان.

أما السطو على الماعز او على الحمير فانه امر ينال في سمعتهم ويحط من منزلتهم في نظر جمهور اللصوص.

اطمئن يا زوجي ! لن يصيبنا ما أصاب الجيران، ولعل من حسن حظنا ان الله لم يرزقنا ثيرانا او خيولا او بغالا.

عند الضحى يسوق عثمان العنز والاتان الى المراعي ولا يعود الا عند الاصيل ثم يتعشى على عجل ويطفئ المصباح ويأوي الى فراشه ويتهيأ للنوم ولكن أشرطة السطو لا تدعه ينام. وتطول ليلته حتى يحسبها سنة كاملة، ويلح على النوم ولكنه لا يلقى منه الا صدودا وفي بعض الاحيان يحاول عثمان ان يتسلى بالسمر مع زوجته ولكنه لا يعي ما يقول او ما تقوله زوجته.

ويعاني عثمان ما يعاني وخديجة لا تعلم من أمره شيئا.

وجاءت الليلة الاخيرة وبدأ الظلام في عين عثمان حالكا والبرد قارسا والريح عاصفا وعلى قدر زمجرة الطبيعة جاءت مخاوف عثمان.

في ساعة مبكرة آوى الى فراشه وسرعان ما اخذت زوجته تغط في نومها اما هو فقد ارق ارقا شديدا وكان في كل لحظة تمر يتوقع ان اللصوص قادمون. ولم يزل على تلك الحال حتى انتصف الليل واضحى فاذا وقع أقدام يسمع من قريب واذا عيناه تختلجان واذا دقات قلبه تتسارع واذا نفسه تضطرب واذا شيئ يشبه الذهول قد اصابه فأقبل على زوجته يوقظها بصوت اقرب الى النجوى : خديجة ! خديجة ! انهضي... انها ليلتنا... قد جاء دورنا... الى اللقاء يا عنزتي ! الى اللقاء...

تستيقظ خديجة وهي تفرك عينيها شاردة الذهن ماذا حدث ؟ ماذا تريد يا رجل ؟

خديجة : أسمع ماذا ؟

عثمان : وقع أقدام... انهم يقتربون...

خديجة : يا لك من جبان ! كم من مرة حاولت ان اقنعك ولكنك لم تقتنع، وصدق او لا تصدق اقول لك مرة اخرى : ان جماعة اللصوص لا يسيل لعابهم من اجل عنز او اتان وان هم فعلوا ذلك عرضوا انفسهم للسخرية والعار.

وازداد عثمان خوفا ونهض مضطربا فأمسك بالمذراة واومأ الى زوجته فأشعلت القنديل واومأ ليها مرة اخرى فمشت امامه تحمل القنديل ولم تكد تخطو خطوتين حتى التفتت الى عثمان وقالت : لتمشي انت امامي عثما ن ان الحكمة تقتضي ان تمشي انت في المقدمة وبيدك القنديل وامشي انا وراءك حتى اذا رأيت خطرا في ضوء القنديل صوبت نحوه المذراة فنتخلص منه الى الابد.

خديجة : ربما صوب اللصوص نحوك سلاحهم قبل ان تتفطن انت اليهم فاهلك انا وتسلم انت : يا لك من داهية !

عثمان : انها ليلة ليلاء يا خديجة !

خديجة : تقدم يا رجل ، واحمل المذراة، وواجه الشر بالشر.

وانتظرت ولكنه لم يتقدم خطوة واحدة كأن رجليه قد تسمرت في الارض.

وخطت خديجة نحو مربض العنز ومشى عثمان وراءها متخاذلا ودخلت المربض فاذا العنز مستغرقة في نومها، واذا عثمان يستعيد الحياة بعدما كان في حالة تشبه الموت ويتعجل العودة الى الكوخ كانما افلت من قبضة اللصوص وتلتحق به خديجة وهي تمشي متمهلة.

وبينما هي تجتاز عتبة الكوخ سمعت دويا يشبه وقع أقدام فاخذت تهمس : عثمان ! تعال ! تعال!

عثمان : ماذا حدث ؟ اللصوص....

خديجة : انهم قادمون... اين المذراة ؟ اين القنديل ؟

عثمان : دعيهم وشأنهم يا امرأة !... عند الصباح سيرحلون....

خديجة ! سالاحقهم حتى يفقدوا كل أمل في الاستيلاء على العنز.

ومشت خديجة ومشى عثمان وراءها كالعادة وتسمعا فاذا حركة تنبعث من مطمورة مهجورة فاقتربا منها رويدا رويدا وهبت نسمة فاطفأت القنديل وساد ظلام شديد

عثمان : مرحبا بضيوفنا الكرام. أحسب انكم تحسون بالجوع في هذه الليلة الباردة سنعد لكم طعاما شهيا ، موافقون مالكم لا تجيبون ؟

هل انتم غاضبون ؟ اتريدون بنا شرا ؟

حذار ! حذار ! ان صيحة واحدة نطلقها تكفي ليهب أهل الحي لنجدتنا وستعلمون اي منقلب تنقلبون.

كم احب ان احتفي بكم واطعمكم ايها الضيوف !

أخشى ان يعيرني قومكم اذا انا لم اقدم اليكم طعاما.

أجيبوني، ماذا تخشون ؟

الان فقط فهمت كل شيء فهمت انكم تخادعوننا وتنتظرون اول فرصة لتنزعوا منا عنزنا.

ولاح الفجر الجديد والحركة داخل المطمورة لم تتوقف ونظرت خديجة فاذا في المطمورة ذئب يحاول الخروج.

خديجة : رأيت ورأيت ومارأيت في الدينا رجلا اجبن منك يا زوجي العزيز !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com